خطوة

مجلة فصلية متخصصة
فى الطفولة المبكرة

العدد الحادى عشر
مارس ٢٠٠١

المجلس العربى للطفولة والتنمية

خرافة المخ الصغير (٤)

إستراتيجية الطفولة المبكرة فى الاردن

منتدى الطفولة فى المغرب

وضع الأطفال فى العالم ٢٠٠١

الإنترنت والإستشارات التربوية

الطفل و الذكاء

خطوة

مجلة فصلية متخصصة في
«الطفولة المبكرة ورياض الأطفال»
تصدر عن المجلس العربي للطفولة والتنمية

برئاسة صاحب السمو الملكي
الأمير طلال بن عبد العزيز

■

رئيس التحرير
د. حمد عقلا العقلا
مدير التحرير
إيمان بهي الدين
الإشراف الفني
محمد أمين

■

الهيئة الاستشارية
د. أحمد الربعي
أ. حمدي قنديل
د. سارة التركي
د. سهام الصويغ
أ. عبد اللطيف الضويحي
د. عثمان فراج

■

مستشارو التحرير
أ. سعد لبيب
د. صفاء الأعسر
أ. عبد التواب يوسف
د. ليلى كرم الدين

■

الاستفسارات والمقترحات والاشتراكات :
المجلس العربي للطفولة والتنمية
٥ ش بهاء الدين قراقوش – الزمالك
القاهرة – ص.ب ١٥ الأورمان
ت : ٧٣٥٨٠١١/١٢ – فاكس : ٧٣٥٨٠١٣
E-mial accad@idsc.gov.eg
www. accd.org.eg

في هذا العدد

كيف تتجنب إصابات
الأطفال داخل البيوت؟
ص ٦

خرافة المخ الصغير (٤)
ص ٤

ملف العدد
طفلك والذكاء
ص ١٠

وضع الأطفال
في العالم ٢٠٠١
ص ٧

مقهى الإنترنت
استشارات تربوية
ص ٤٢

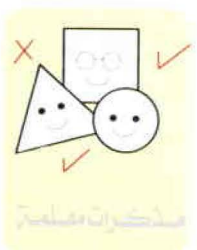

كتاب مذكرات معلمة
ص ٤١

إطلالة ، ص ٥٠

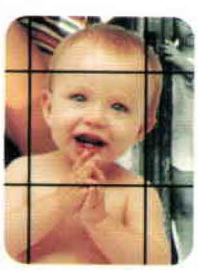

تجارب ناجحة
ص ٤٤

الاشتراكات السنوية
جمهورية مصر العربية : ٢٥ جنيهاً مصرياً
البلدان العربية : ١٩ دولاراً أمريكياً
الاشتراك التشجيعي : ٥٠ دولاراً أمريكياً

تصدر المجلة بدعم مالي من برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية

بقلم :
رئيس التحرير

قراءنا الأعزاء

جاءت فكرة خطوة بمبادرة من كل من المجلس العربي للطفولة والتنمية وبرنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية ، بهدف إصدار مجلة متخصصة في مرحلة الطفولة المبكرة ، واليوم وبعد صدور عشرة أعداد منها ، ازدادت قناعتنا بأهمية تلك المجلة التي تتوجه لمرحلة من أهم مراحل نمو الإنسان خاصة في ظل الاهتمام العالمي بها في الوقت الراهن ، حيث وضعت قضية الطفولة المبكرة ضمن أولويات الأمم المتحدة ، وخصصت منظمة اليونيسيف تقريرها السنوي للعام ٢٠٠١ لهذه القضية ، كما أدرجت على أجندة اجتماع الدورة الاستثنائية للجمعية العمومية للأمم المتحدة للطفل الذي سيعقد في سبتمبر ٢٠٠١م بنيويورك ، وتضاعف إيماننا بأنها يمكن أن تكون إحدى الوسائل لتوجيه وإرشاد المعلمين والوالدين ، خاصة بعد ما خلقته من صدى إيجابي بين الأوساط المعنية بتلك المرحلة .

وها نحن نطل عليكم من جديد عبر مجلتكم «**خطوة**»، التي توقفت – مؤقتاً – لأسباب خاصة . وجاء هذا العدد – كما كان مخططاً له من قبل – ليتخذ الطفل والذكاء محوراً له ، فقد وردت إلينا العديد من المقالات القيمة في هذا الموضوع ، والتي آثرنا أن ننشرها جميعاً ؛ حيث تؤكد في مجملها على أهمية مرحلة الطفولة المبكرة في تنمية ذكاء الطفل .

وتأكيداً على أن «**خطوة**» هي مجلتكم ، فإننا نعدكم بأننا سنعمل جاهدين على الاستجابة إلى آرائكم ومقترحاتكم التي ستكون خير معين لمزيد من التطوير والتجديد ، وتوفير مساحة أكبر لمشاركتكم وفتح الحوار معكم في كل ما يخص تلك المرحلة .

ويود المجلس العربي للطفولة والتنمية أن يعرب عن خالص شكره وتقديره لهيئات المجلة والجهات الداعمة لها ، على ما بذل من جهد واضح خلال الفترة الماضية ، ويخص بالشكر والامتنان برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية لدعمه الدائم ، وشركة جنرال إليكتريك التي تفضلت مشكورة بتقديم دعم مادي للمجلة ، وكذلك الأستاذة نها شقال مدير تحرير المجلة سابقاً ، ويتمنى لها التوفيق في موقعها الجديد . ونكرر الدعوة بأننا في انتظار دعمكم المعنوي والمادي للمجلة لخدمة أطفالنا على مستوى الوطن العربي .

خرافة المخ الصغير

(٤) والذكاء أصناف، تتفتح جميعها مبكراً، وأهمها مكتسب

بقلم :
د. نادر فرجاني
مدير مركز المشكاة للبحث ، مصر
(الموقع على الإنترنت : www.almishkat.org)

يعود هذا المقال بنا إلى فحوى المقال الافتتاحي لهذه السلسلة عن «خرافة المخ الصغير» حيث بيَّنا أن مخ الطفل في سنوات الطفولة المبكرة هو في الواقع ضخم البناء من ناحية، وغني بإمكانات تفتح المواهب، أو تفتق الذكاء من ناحية أخرى، بناء على الاستجابة لمدى ثراء الاستثارة الحسية والوجدانية للطفل في سن الطفولة الأولى. وقد اختتمنا هذا المقال الافتتاحي بعرض بعض «نوافذ فرص زمنية» أسفرت نتائج البحث الحديث عن مناسبتها لتكوين الوصلات بين خلايا المخ اللازمة لتبلور قدرات ومهارات معينة (الإبصار، والتطور العاطفي، والثروة اللغوية والكلام/ واللغات، والمنطق والرياضيات، والموسيقى) .

وقد يتذكر القارئ أن بعض هذه النوافذ، كان يبدأ، وأحياناً ينتهي، مبكراً في الطفولة الأولى إلى حد يثير الدهشة، ويرتب استنتاجات غاية في الأهمية للتنشئة والتعليم، خاصة في سنوات الطفولة المبكرة. ولعل القارئ لا يندهش الآن من معرفة أن الأداء الإنساني الخارق في مجالات، كالموسيقي (العزف بالبراعة على الآلات الموسيقية) والرياضة البدنية (المؤدي للحصول على الميداليات الذهبية في الألعاب الأوليمبية) عادة ما يرتبط ببدء المران في سن الطفولة المبكرة.

وقد لا يرى القارئ في بعض القدرات والمهارات المشار إليها أعلاه (مثل الموسيقى والرياضة البدنية) مكونات للذكاء بالمعنى المعتاد. وهذا هو، بالتحديد، موضوع المقال الحالي. فالشائع هو قيام الذكاء على القدرات اللغوية والمنطقية والرياضية، الأمر الذي يؤدي إلى ربط الذكاء بالتحصيل التعليمي في المدارس. ويقوم قياس الذكاء التقليدي على أساس مقياس نسبة الذكاء intelligence quotient(IQ)، ومن ثم تبنى اختبارات الذكاء المعتادة أيضاً، على هذا الأساس .

ولكن «هوارد جاردنر» أسقط هذه المفاهيم عندما أسس لنظرية «تعدد الذكاء» بنشره، في العام ١٩٨٣، كتابه الشهير «أطر العقل» frames of mind الذي اقترح فيه وجود عدد من أنواع الذكاء multiple intelligences يمتلكها كل فرد بدرجات متفاوتة .

وقد عرف «جاردنر» سبعة صنوف أساسية من الذكاء: اللغوي، والموسيقي، والمنطقي- الرياضي، والمكاني، والجسدي- الحركي، والنفساني (التبصر- المعرفة الوائية) intrapersonal والاجتماعي (العلاقات ما بين الأشخاص) intreper-sonal . وفي معين الذكاء لشخص محدد تمتزج هذه الصنوف الأساسية كلها بنسب متفاوتة، في مزيج فريد خاص بها (به) .

ويترتب على هذا التصور ضرورة أن تركز عمليات التنشئة والتعليم على مزيج الذكاء الفريد الخاص بكل طفل، وشديد التنوع في أي مجموعة من الأطفال. وهنا منشأ حتمية أن تتمركز عمليات التنشئة والتعليم على الطفل الفرد، إن كان للبشرية أن تتيح لكل إنسان حقه الجوهري في تحقيق الذات إلى أقصى حد ممكن، من خلال تنمية المواهب، ومن ثم، تنجح المجتمعات في تعظيم الرفاه الإنساني على العموم. فالطفل الذي تبرز لديه الاستعدادات الجسدية- الحركية أو الموسيقية مثلاً، يجب أن يُشجَّع على تنميتها بدلاً من العمل على حبس نمو الأطفال في إطار تنمية المهارات اللغوية والمنطقية فقط، كما يحدث في أشكال التعليم التقليدية .

وتجدر الإشارة إلى أن أساليب حفز الذكاء تتنوع من صنف لآخر، ومن ثم، فإن طرائق التنشئة والتعليم لا بد أيضاً أن تتنوع بما يتناسب مع تنوع ذكاوات الأطفال. ولا فكاك، والحال كذلك، أن تفسح أساليب تقييم الذكاء والقدرات المجال لاعتبار صنوف الذكاء كافة .

فكل طفل يمتلك موهبة من نوع ما، يتوقف

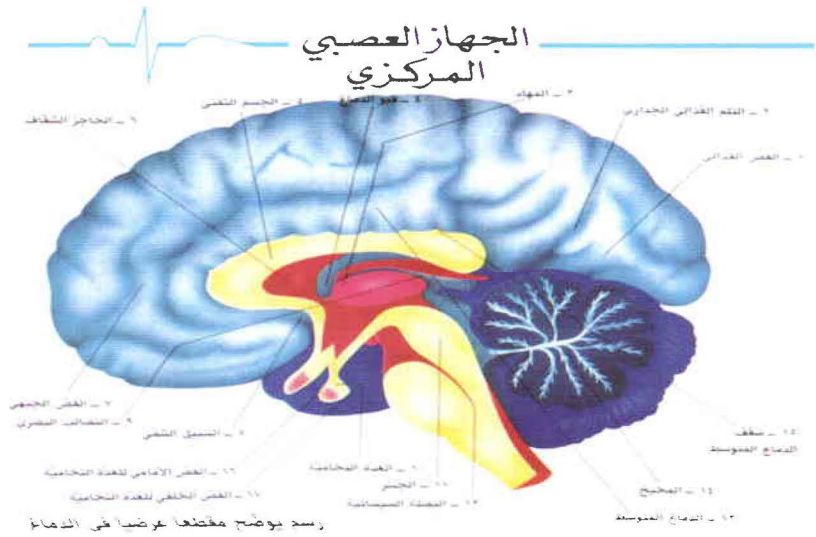

تبلورها، في النهاية، أو كبتها، على ثراء استثارة محيطه الاجتماعي، في الأسر والمؤسسات التعليمية، لتكوين مخه وقدراته. ولذلك يختلف مدى وتضاريس خريطة بزوغ القدرات بين الأطفال من مجتمع بشري لآخر .

ويفتح مفهوم تعدد الذكاوات باب الابتكار والإبداع في مجالات التنشئة والتعلم واسعاً. والواقع أن الإعجاب بالمفهوم والتعلق به يزداد بين المعلمين المخلصين لرسالة التعليم السامية والبارعين في القيام بها، حيث يعتبرونها المدخل الأساس في إنشاء علاقات وثيقة ومتميزة مع تلاميذهم، تمهد لهؤلاء التلاميذ الطريق لاستكشاف قدراتهم الكامنة وتنميتها في سياق تعليمي محبب، ينهض على تنويع الأساليب التعليمية، بما يناسب تنوع قدرات الأطفال، ويؤدي لزيادة حرصهم على التعلم، وتمتعهم به، بما يعمق من تبصرهم بمكنونات أنفسهم، ويمكنهم من تحقيق ذواتهم، ويرفع، من ثم، مكانتهم في محيطهم العائلي والاجتماعي، ويصبح، في النهاية، بالغ الجدوى لنجاحهم في الحياة، ولازدهار الحياة .

وللتأكيد على عدم اقتصار الذكاء على المفهوم التقليدي للقدرات اللغوية والمنطقية، نختم هذا المقال بالإشارة إلى أحد صنوف الذكاء- شديد البعد عن المفهوم التقليدي- ومع ذلك يعده البعض الآن من أهم، إن لم يكن أهم، صنوف الذكاء، وهو الذكاء الوجداني emotional intelligence .

ويشير أنصار الذكاء الوجداني إلى أن الذكاء التقليدي، مقاساً بنسبة الذكاء، ليس قميناً بتحقيق النجاح في الحياة، حيث يحقق بعض محدودي الذكاء، بالمقياس التقليدي، نجاحات باهرة، بينما يفشل بعض من مرتفعي نسبة الذكاء فشلاً ذريعاً .

وتتفاعل في تكوين الذكاء الوجداني، بدوره، قدرات متعددة، بعضها نفساني، والآخر اجتماعي، تشمل ١- ضبط النفس، ٢- التحكم في المزاج، ٣- الحماس، ٤-المثابرة، ٥- حفز الدافعية الذاتية، وإرجاء الإشباع، ومنع الإحباط من تعطيل القدرة على التفكير، وإعلاء الأمل، والتعاطف مع الآخرين. وكل هذه القدرات يمكن اكتسابها إلى حد بعيد من خلال التنشئة والتعليم السليمين، الأمر الذي يمكن الأطفال، سعيدي الحظ في التنشئة والتعليم، من اكتساب مستوى مميز من الذكاء الوجداني .

وهناك مبرر أخير للاهتمام بالذكاء الوجداني، ففي عالم يتسم التعامل فيه بين البشر بالوحشية بوتيرة دائبة التصاعد، تتوافر دلائل قوية على أن المواقف الأخلاقية السوية تنبع من الإمكانات الوجدانية الأساسية للأفراد. وعلى سبيل المثال، فإن التعاطف مع الآخرين هو منبت الإيثار، بينما تنتج الأثرة من قلة الاهتمام بالغير .

عمارة، عبد الوهاب علي عبد الوهاب

مستوى معدل الرصاص ومستوى الذكاء في الأطفال المساء استخدامهم في ورش إصلاح السيارات ومحطات البنزين

رسالة ماجستير قدمت لكلية الطب - جامعة المنوفية عام ١٩٩٠ .

هدف الرسالة التعرف على العلاقة بين مستوى معدن الرصاص ومستوى الذكاء والنمو عند الأطفال المُساء استخدامهم في ورش إصلاح السيارات ومحطات البنزين، والتعرف على مستوى معدن الرصاص عند الأطفال الأصحاء الذين لا يعملون في مثل هذه الأماكن. ولتحقيق هذه الأهداف أجرى الباحث دراسة على عينة ضمت أطفالاً من مدن الشهداء وتلا ومنوف، تتراوح أعمارهم بين ٥-١٠ سنوات، ويعملون في ورش إصلاح السيارات ومحطات بنزين منذ ثلاث سنوات على الأقل سابقة على إجراء البحث، وتم اختيار عينة أخرى تضم ١٥ طفلاً من نفس السن لا يعملون في هذه الأماكن للمقارنة. وللوصول إلى النتائج تم قياس الطول والوزن وأخذ النسبة المئوية للنمو، وأخذ عينة من دم الطفل مع عمل صورة كاملة لنسبة الرصاص في الدم ونسبة البورفيون الحر في كرات الدم الحمراء ونسبة حامض الأمينولينونك في الدم، وتم تحديد مستوى الذكاء عند أطفال العينة باستخدام مقياس وكسلر لذكاء الأطفال .

وبعد إجراء الدراسة تبين من النتائج: أن الأطفال المُساء استخدامهم في ورش إصلاح السيارات ومحطات البنزين يرتفع عندهم مستوى الرصاص في الدم (٤,٣٥ + ٥,٤) مقارنة بالعينة الضابطة (٢١,٥ + ١,٦) وأن هذا الفرق ذو دلالة إحصائية، وأنه بتطبيق مقياس وكسلر لذكاء الأطفال على جميع أفراد العينة تبين انخفاض ذكاء الأطفال المُساء استخدامهم في ورش إصلاح السيارات ومحطات البنزين مقارنة بالأطفال من المجموعة الضابطة .

كيف تتجنب إصابات الأطفال داخل البيوت؟

في إحصائية علمية موثقة تأكد أن حادثين من كل ثلاثة حوادث، مما يصيب الأطفال أقل من ثلاث سنوات، والتي قد يدخلون بسببها العناية المركزة ؛ يحدثان داخل البيوت .

وهذه بعض النصائح العملية لتجنب معظم هذه الحوادث.. بإذن الله:

١- ضع الأدوية بعيداً عن متناول الأطفال، حتى الفيتامينات ومخففات الألم، مثل الأسبرين.

٢- أثناء الطهي اجعل يد أي إناء أو طاسة بعيداً عن حافة جهاز الطهي (البوتاجاز مثلاً)؛ لكي يتعذر على الطفل أن يجذبها ناحيته، فينسكب عليه ما فيه .

٣- قم بتغطية كل بريزة كهرباء، وأبعد أسلاك الأجهزة الكهربائية، وكذلك الحبال، التي يمكن أن تلتف حول عنق الطفل.

٤- لا تترك مع صغار الأطفال اللعب التي بها قطع صغيرة؛ لتفادي بلعها، وكذلك الأزرار والدبابيس والعملات المعدنية الشائع بلعها .

٥- ضع حاجزاً على كل نافذة بالطابق فوق الأرضي؛ لتفادي السقوط منها .

٦- أبعد الطاولات والكراسي عن النوافذ أو البلكونات أو سطح المنزل؛ حتى لا يصعد فوقها الطفل، لينظر من النافذة أو غيرها، فيسقط منها؛ لأن الأطفال في هذه السن لا يقدرون المسافات (حيث تتساوى لديهم المسافات القصيرة والطويلة) .

٧- كن حريصاً على وضع الغطاء فوق قاعدة دورة المياه، مع إغلاق باب الحمام دوماً؛ لتفادي الغرق، مع عدم تخزين مياه في أوعية كبيرة قد يسقط فيها الطفل، فيغرق .

٨- أبعد الكبريت أو الولاعة أو أي مادة قابلة للاشتعال عن متناول أيدي الأطفال .

٩- دائماً احرص على إغلاق محبس أنبوبة البوتاجاز أو محبس الغاز الطبيعي أثناء عدم الاستعمال أو عند تواجد الأطفال بمفردهم داخل المنزل .

١٠- لا تترك الحليب أو المشروبات التي تفور مع الغلي على البوتاجاز أبداً دون رقابة مباشرة؛ لتجنب انطفاء الشعلة، فيحدث ما لا تحمد عقباه .

١١- لا تترك باب الشقة مفتوحاً؛ حتى لا يسقط الأطفال على السلالم؛ لعدم تخيلهم لطريقة النزول خطوة خطوة، أو لمحاولتهم، النزول بوجوههم، فينزلقون مرة واحدة، عكس الصعود الذي يجبرهم على الصعود بالتدريج .

١٢- احفظ في مكان مغلق كل الأدوات التي قد تسبب أخطاراً، مثل : مواد التنظيف/ الكلور/ المنظفات الصناعية/ الصابون....

١٣- تجنب إحضار ماء النار أو البوتاس (أو ما شابههما) للمنزل، فهناك وسائل أخرى للتنظيف غيرهما؛ فالبوتاس أبيض كالحليب ولا طعم له ... أما نتيجته ففظيعة .

١٤- ضع في البانيو وعلى أرضية الحمام الأرضيات المطاطية الواقية من الانزلاق، مع الحرص على عدم ارتداء الأطفال شباشب أو أحذية ناعمة النعل، مما يستعمل عند دخول الحمام؛ خوفاً من الانزلاق .

١٥- اجعل مروحة السقف عالية، وذلك بتقصير عمودها، وتجنب ملاعبة الطفل.. برفعه إلى أعلى، سواء كانت المروحة تعمل أم ساكنة.

١٦- اجعل مراوح المكتب في مكان عالٍ لا يصل الطفل إليه؛ حتى لا يضع أصابعه داخلها أثناء عملها .

١٧- احتفظ في المنزل بصيدلية بها مواد الإسعافات الأولية، وتعرف من الأطباء على كيفية إجراء هذه الإسعافات؛ لكسب الوقت

(عند حدوث أي حادث)، وحتى يتم إحضار الطبيب المتخصص أو الانتقال إلى المستشفى.

١٨- لا تترك الأطفال يأكلون بمفردهم؛ فقد لا يقدرون حجم الفواكه أو الخبز كبير الحجم، فتقف القطع الكبيرة في حناجرهم، فيختنقون دون أن يشعر بهم أحد !!

١٩ - لا تترك الأطفال في هذه السن ومعهم حيوانات أليفة بالمنزل؛ تجنباً لنقل الأمراض المشتركة أو قيام الحيوانات بعضِّهم أو «خربشتهم»!!

٢٠ - لا تضع شراباً أو طعاماً ساخناً أمام الأطفال، فيتناولوه مرة واحدة دون الانتباه إلى سخونته، فيؤذيهم. ولا تضع إناءً فيه طعام ساخن على طرف المائدة؛ حتى لا يسحب الأطفال هذه الآنية، فتسكب عليهم.

٢١ - أبعد السكين والشوكة والأدوات ذات النصل الحاد عن متناول أيديهم؛ حتى لا يؤذوا أنفسهم أو غيرهم، ولا تترك الطفل يحضر سكيناً إلى المائدة؛ فقد يسرع بها، ويصطدم بأشقائه وهو يجري من المطبخ إلى مكان الطعام!

٢٢ - تجنب ترك الأكياس الخفيفة أو الحقائب في مكان قريب من متناول الأطفال؛ حتى لا يضعوها في رؤوسهم، فيختنقوا .

٢٣ - علم الأطفال أن يبتعدوا عن شاشات الأجهزة الضوئية (التليفزيون) مسافة لا تقل عن ثلاثة أمتار على الأقل، والابتعاد عن (شاشات الكمبيوتر/ الأتاري) مسافة كافية مع وضع الفلتر الضوئي، وكذلك خفض الأصوات للأجهزة السمعية إلى الحد المعتدل، مع تجنب استعمال سماعات «الهدفون» .

٢٤ - تأكد باستمرار من سلامة إغلاق باب الغسالة الأوتوماتيكية أثناء عملها- حيث إن العطل فيها وارد- وقد يحدث أن يفتحها الأطفال، فيصابوا .

٢٥ - احرص على عدم استعمال الأطفال التليفون المحمول مباشرة أو من خلال السماعة الخارجية .

الطفولة المبكرة

وضع الأطفال في العالم ٢٠٠١

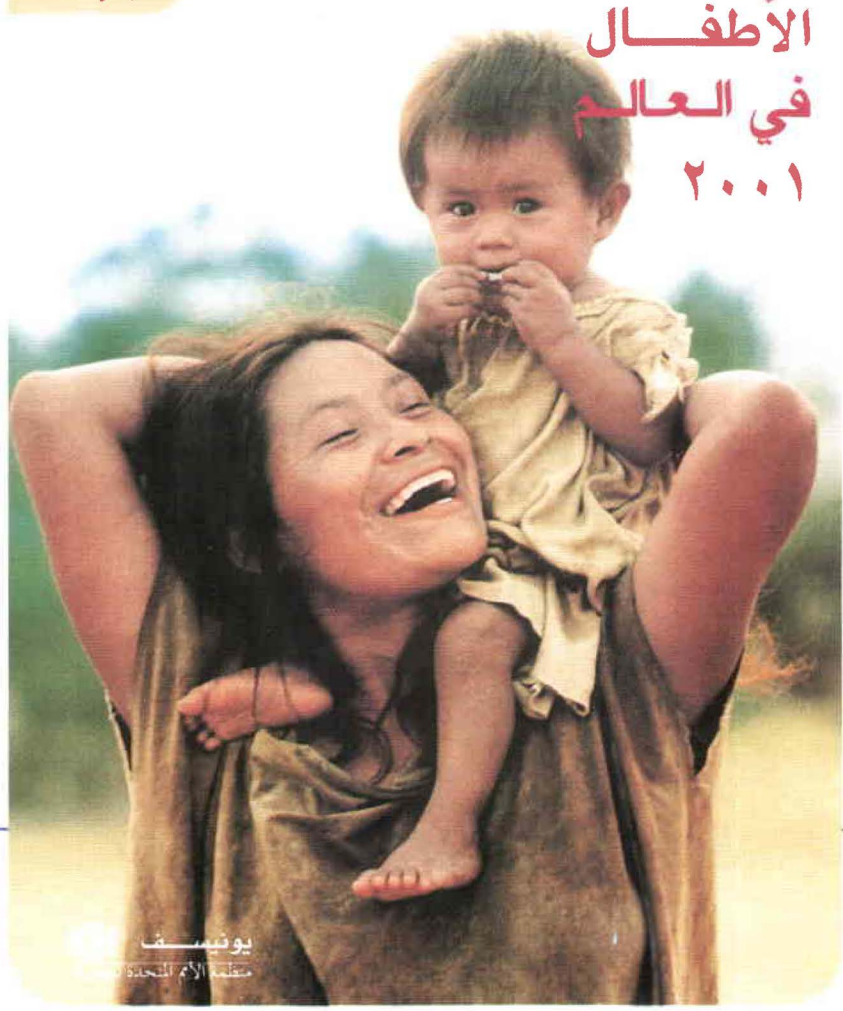

عرض
أحمد عبد العليم
باحث – المركز القومي لثقافة الطفل

توفير أفضل بداية ممكنة في الحياة لكل طفل

لعل الأهمية الكبيرة بالإضافة إلى الضرورة الملحة هي التي فرضت على منظمة الأمم المتحدة للأطفال "يونيسيف" أن تقصر تقريرها السنوي على تنمية الطفولة المبكرة.. وأن تسلط الضوء على أوضاعهم .. إذ يؤكد التقرير على أن السنوات الأولى هي الفترة التي تحدث تغييرات كبيرة ذات أثر باقٍ وممتد في الحياة.. وعلى الرغم من ضرورة أن تحظى الطفولة المبكرة بالأولوية القصوى من اهتمام الحكومات المسئولة عند اتخاذ قراراتها بشأن القوانين والسياسات والبرامج والأطفال، فإن هذه السنوات تحظى بأدنى حد من الاهتمام.. هذا هو الأمر المأساوي بالنسبة إلى الأطفال والأمم على حد سواء .

خيارات يتوجب اتخاذها :

في اللحظات والأشهر والسنوات الأولى من الحياة تتحول كل لمسة وحركة وعاطفة في حياة الطفل الصغير إلى انفجار في النشاط الكهربائي والكيماوي بالدماغ.. حيث تقوم بلايين الخلايا بتنظيم أنفسها في شبكات تتطلب آلاف البلايين من نقاط الالتقاء العصبي بينها. وهذه السنوات الأولى تشكل في مجموعها الفترة التي تؤثر خلالها تجارب وتفاعلات الطفل على الطريقة التي يتطور بها الدماغ.. إلا أن قدراً آخر من التأثير يقع نتيجة عوامل أخرى، مثل التغذية الكافية والرعاية الصحية والمياه النظيفة.. إذ تهيئ كيفية تطور الطفل أثناء هذه المرحلة لنجاحه لاحقاً في مدرسته. وللشخصية

التي سيتمتع بها في مرحلة المراهقة والرشد .

الخيارات :

ولأهمية هذه المرحلة التي تمتد آثارها على مدى الحياة يرى التقرير أن هناك خيارات ماثلة أمام القادة إذا ما أرادوا الأفضل للأطفال ولبلادهم..

فإما أن : يضمنوا أن كل طفل مسجل عند ولادته، وأنه يبدأ حياته بمأمن من العنف، وبتغذية كافية، ومياه نظيفة، ومرافق صحية ملائمة، ورعاية صحية أولية، وتحفيز معرفي ونفسي واجتماعي أو أن.. يخيبوا في تنفيذ التزاماتهم الأخلاقية والقانونية المنصوص عليها في اتفاقية حقوق الطفل .

وإما أن يدعموا العائلات والمجتمعات المحلية التي ترعى أطفالها الصغار .. ويوفروا الأموال الضرورية لضمان حصول كل طفل على أفضل بداية ممكنة في الحياة .. وينفقوا ما هو ضروري الآن لضمان وصول الخدمات الأساسية الجيدة التي يحتاجها الأطفال الصغار .. أو أن يتخلوا عن الأمل بأن الجيل القادم سيتمتع بما يكفي من الصحة والمهارات بقيادة بلادهم للخروج من الفقر ويضطروا لإنفاق أموال أكثر بكثير لحل المشكلات في وقت لاحق .

إن هذه البدائل على الرغم من وضوح معالمها ليس من السهل دائماً تبصرها ، إذ إن

دوائر الفقر والمرض والعنف والتمييز التي تشترك فيها الأجيال المتعاقبة ستظل متجذرة في الطرق التي يعيش بها الناس وينظمون بها حياتهم ، في حين تبقى دوائر الأمل مدفونة تحت طبقات من الصخر ، بعيدة عن الأنظار واحتمالات التحقيق .

رعاية الأطفال = رعاية النساء :

من البديهي – يؤكد التقرير – أن التركيز على رعاية الرضع والأطفال المبتدئين بالمشي يعني أيضاً التركيز على النساء اللواتي يؤثر وضعهن البدني والعاطفي على حملهن ، وعلى تطور أطفالهن، حيث ترتبط الرعاية المتدنية بالحوامل وسوء تغذيتهن بقلة الوزن لدى الولادة ، ومشكلات السمع وصعوبات التعلم ، وانشقاق العمود الفقري ، وتلف الدماغ لدى الأطفال . ومع ذلك فإن معدلات وفيات الأمهات في وقتنا الحاضر ما زالت مرتفعة.

دائرة من الأمل والتغيير :

ويرى التقرير أن هنالك نهجاً استراتيجياً لتفعيل حقوق الأطفال والنساء ، وفي تقليص دورات الحرمان ، والمرض ، والعنف ، والتمييز، التي تستغرق حياة وأرواح الأطفال والنساء حول العالم .

ويرتكز هذا النهج على معرفة أن جميع مراحل تطور الطفل مترابطة بعضها ببعض ، وأن أفضل وقت للبدء بضمان حياة كاملة هو أقرب فرصة ممكنة . وعليه . فإذا كانت إحدى البلدان تأمل في تخفيف حدة القوى الخانقة للتنمية فما عليها إلا أن تقوم بأربعة أشياء أساسية ومتزامنة :

– إعطاء الأولوية لبقاء الطفل على قيد الحياة .

– ضمان أن يظل الأطفال أصحاء ويمتلكون المهارات الضرورية للنجاح .

– إعداد الآباء لدورهم المحوري في رعاية الأطفال ، والمساهمة في بناء قدرات المجتمعات المحلية .

– إقامة مجتمع خالٍ من العنف والمرض والتمييز على جميع المستويات .

خيار ضروري :

إن الاهتمام بالأطفال يصبح أمراً بالغ الحيوية حينما يكون من الصعب ضمانه .. ومع ازدهار الاقتصاد العالمي فإن أغلبية الأطفال ما زالت تعيش في فقر .. وفيما يراود العالم الأمل في السلام تندلع الصراعات والحروب العرقية التي يعتبرها عامل الربح لنجازف بأرواح الأطفال ونفسياتهم .

تحديات أمام تنمية الطفولة المبكرة :

هناك عدد من التحديات الماثلة أمامنا – يشير التقرير – لتنمية الطفل المبكرة منها :

– **تأثيرات الفقر** :

يحسم الفقر كل ناحية من نواحي وجود الطفل مثل سوء التغذية ، والافتقار إلى المياه النظيفة ، والظروف الصحية العامة غير الكافية ، والعمر المتوقع .. ولا تتوقف دورة الفقر حيث ينقل الأطفال الفقراء فقرهم من جيل إلى الجيل التالي .

– **تأثيرات العنف ضد المرأة** :

إنها لمفارقة مأساوية أن يكون النساء والأطفال في أغلب الأحيان في خطر من أمكنة يفترض أن تكون أكثر أماناً لهم مثل البيت . وغالباً ما يتساوى العنف ضد النساء مع العنف ضد الأطفال .

يقدر البنك الدولي أن ١,٢ بليون شخص ضمنهم ما يزيد على نصف بليون طفل عاشوا في عام ١٩٩٨ على أقل من الدولار يومياً .

تدين الأقطار النامية بأكثر من (٢٠) تريليون دولار للجهات العالمية الدائنة .

في كل يوم تتعرض أعداد لا حصر لها من الأطفال حول العالم لمخاطر تعوق نموهم وتطورهم .

إلى أن يتمتع كل واحد منكم - بغض النظر عن هويته - بحقوقه . فنحن لن نستريح .. وهذا وعدنا لكم .
نيلسون مانديلا
جراس ماشيل

أكثر من ٢٠ ٪ من الأطفال في سن الدراسة الابتدائية ليسوا على مقاعد الدراسة .

٨٠٪ = ٩٠٪ من الذين يموتون أو يجرحون في النزاعات المسلحة من الأطفال وأمهاتهم.

تسجيل الطفل عند ولادته هو أول خطوة في مسار الحياة.

سوء التغذية بين النساء الحوامل عامل رئيسي في تقزم حوالي ١٧٧ مليون طفل .

– **تأثيرات النزاع المسلح :**
غالباً ما يعاني الأطفال الذين يصمدون أمام وحشية الحرب وينجون من ويلاتها من آثار الاضطراب الذي تخلفه في صورة جرح نفسي غائر يزعزع عملية التطور . وبالنسبة إلى الأطفال دون الثالثة فإن الصدمات شديدة الأثر لا تؤثر عليهم عاطفياً فحسب، بل تتعدى ذلك لتغير في كيمياء أدمغتهم بشكل دائم .

كسر الحلقات :

وبينما يرزح الأطفال تحت ويلات حروب لا ناقة لهم فيها ولا بعير ، وبينما يحيا النساء والأطفال في مناخ من العنف ، والفقر ، والمرض ، والتمييز ، تنفق الأموال في حروب لا طائل منها ويكونون هم أيضاً ضحاياها .. وبالرغم من مجهودات منظمة اليونيسيف من أجل إيجاد ممرات للسلام وإنشاء مناطق سلام ومجمعات صديقة للأطفال، فإن المنظمة تؤكد من خلال تقريرها على أهمية كسر حلقات الفقر ، والعنف ، والمرض، والتمييز ، باعتبار أن الاستثمار المبكر في الأطفال وخاصة في السنوات الأولى لا يخدم الطفل والعائلة فحسب، إنما يخدم قضية التنمية المستدامة .. إن الاستثمار في الأطفال – يؤكد التقرير – واحد من أكبر القرارات اتصافاً ببعد النظر التي يمكن للقادة أن يتخذوها .

الخيار المسئول الوحيد :

لعل برامج تنمية الطفولة المبكرة هي الخطوة الأولية الضرورية لتحسين حياة الأطفال – يشير التقرير – إذ إن التأثيرات الإيجابية لهذه البرامج تنعكس في كافة جوانب المجتمع ؛ حيث إنها لا تقدم الرعاية الجيدة للصغار فحسب، بل تمنح الفتيات فرص التحرر من مسئولية رعاية الأخوة ، والالتحاق بالمدارس ، كما يحرر الأمهات ويمكنهن من العمل الذي يفيد العائلات من الدخل الإضافي، بينما يستفيد المجتمع المحلي من فرص عمل إضافية وعمال إضافيين . وعلى الرغم من كونها وصفة علاجية بطيئة المردود، فإن الفائدة المرجوة تظهر بعد جيل جلية واضحة .

ليس ثمة مهمة أنبل من منح الأطفال مستقبلاً أفضل :

يرى التقرير أن حياة الأطفال والنساء هي أصدق مؤشرات على قوة المجتمعات والأمم ، وكسر طوق الفقر والعنف والمرض والتمييز ، ليس بالحلم المستحيل تحقيقه إن بدأنا العمل مبكراً لتغيير حياة الأطفال .

والاستثمار في مواطني العالم الأصغر سناً هو أفضل خيار من بين عدد من الخيارات .. ولم تعد المهمة قاصرة على البلدان النامية التي يعاني أطفالها فحسب ، بل على الدول الغنية مساندتها بكافة الوسائل ، وخاصة فيما يتعلق بتخفيف أعباء الديون ، والمساهمة في جهود التنمية المستدامة ، من أجل ضمان أفضل بداية ممكنة لكل طفل في الحياة دون استثناء .. باعتبارها الخيار المنطقي الوحيد لأية قيادة مسئولة .

أكثر من ٥٠٪ من ٤٠ مليون مهجر داخل أوطانهم من الأطفال .

ثلث الأميين البالغين في العالم تقريباً - ٨٧٦ مليوناً - من النساء .

٣٠٪ أو أكثر من الأطفال دون الخامسة يعانون من التقزم الحاد والمتوسط .

ما يقرب من ١١ مليون طفل دون الخامسة يموتون في كل عام .

الطفل والذكاء

تقديم : أ.د. صفاء الأعسر
أستاذ علم النفس – كلية البنات – جامعة عين شمس

حين تناقش **خطوة** موضوع الذكاء ، فإنها تدعو القارئ للانشغال بهذا الموضوع المهم ، الذي يؤثر تأثيراً عميقاً ومباشراً في حياتنا وحياة أطفالنا ، بل وفي المجتمع بأكمله ، ولكننا ننشغل عنه ؛ حيث تجذبنا ضغوط الحياة اليومية بعيداً عن القضايا المهمة – في كثير من الأحيان – لنجد أنفسنا غارقين في القضايا الملحة وإن كانت أقل أهمية .

لقد أصبح مفهوم الذكاء من المفردات التي دخلت الحوارات اليومية، وتجاوزت بذلك حدود المفاهيم العلمية التي يقتصر تداولها بين المتخصصين ، وكذلك اتسع مفهوم الذكاء ليتجاوز وصف السلوك الإنساني إلى وصف المؤسسات والمنتجات ، فأصبحنا نسمع عن السيارة الذكية ، والقرية الذكية ... إلخ .

فماذا يعني الذكاء ؟ وما الذي يحدد الذكاء .. هل الوراثة أم البيئة؟ كيف نفسر الفروق بين البشر؟ لماذا يستطيع طفل ما أن ينجز عملاً يتفوق فيه على طفل آخر؟ لماذا ينجح طفل ما في عمل ما ويفشل في عمل آخر .. قد يكون أسهل من الأول؟ هل هناك إشارات أو علامات تدل على ارتفاع الذكاء ؟ هل يمكن أن نعيش الذكاء؟ هل تختلف شخصية الطفل الذكي عن شخصية الطفل الأقل ذكاء؟ هل الفشل المدرسي دليل على ضعف الذكاء/ هل الطفل الذكي متفوق دائماً وفي كل المجالات ؟ والأقل ذكاءً أقل تفوقاً دائماً وفي كل المجالات ؟ هل يمكن أن ننمي الذكاء؟ وكيف؟ ما العوامل التي تؤثر في الذكاء؟

نستطيع أن نجمل هذه التساؤلات في ثلاثة محاور :

المحور الأولى : ما الذكاء؟

المحور الثاني : ما العوامل التي تؤثر في الذكاء؟

المحور الثالث : هل يمكن أن ننمي الذكاء؟

حول هذه المحاور الثلاث تدور المقالات التي يتضمنها هذا الملف، وهي (٨ مقالات) ، وسوف يتبين القارئ التنوع والتعدد فيما يقدمه الباحثون في هذا المجال الخطير ، ذلك أن موضوع دراسات الذكاء يحتل مساحة عريضة على خريطة البحث العلمي ، مساحة تتناسب مع خطورته وتأثيره على حياة الأفراد والمجتمعات .

يقدم لنا د. معاجيني (ص١٢) في مقاله بعنوان ماهية الذكاء بين العلم والعوام ، بعض تعريفات الذكاء على مدى قرن من الزمان ، ويناقش بعض الآراء حول ما إذا كان الذكاء موروثاً ومقدراً ، أم أنه مكتسب يتأثر بالعوامل البيئية ، ليرجح التفاعل بين الوراثة والبيئة – وتظل هذه القضية تتردد في معظم المقالات ، فلولا ما أثبته العلم عن تأثير البيئة بكل مقوماتها في الذكاء ، ما استطاع العلم أن يتصدى لدراسته بهدف تنميته ، وهذا ما يطرحه د. فرجاني (ص٤) في مقاله بعنوان"خرافة المخ الصغير"حيث يتناول نظرية خبرته في الذكاء مؤسسة على دراسة المخ البشري وما بين البشر من فروق في جوانب القوة والضعف ، فالذكاء كما تطرحه هذه النظرية ذكاء متعدد ، وهو طرح يتناول حقيقة مهمة تؤكد أن الذكاء المرتفع في مجال معين لا يعني بالضرورة ذكاءً مرتفعاً بنفس الشعور في مجالات أخرى.

ونظراً لأن الذكاء يتفاعل (مؤثراً ومتأثراً) مع عوامل متعددة في البيئة ، فقد تناولت بعض المقالات العلاقة بين الذكاء وبعض العوامل البيئية ، ونبدأ بمقال د. فراج (ص ١٤) بعنوان نمو الذكاء وعلاقته بالتلوث البيئي، ويتناول فيه بعض العوامل البيئية كالصحة والتغذية ، والتلوث البيولوجي والتلوث الإشعاعي والتلوث الكيميائي ، وكلها عوامل تحجم الذكاء وتؤثر عليه تأثيراً سلبياً ، ثم ننتقل إلى مقال د. يسر كاظم (ص ١٦) وعنوان : التغذية والذكاء ، وتناقش فيه أهمية التغذية ، كماً ونوعاً على نمو المخ ، وكفاءته في القيام بالوظائف العقلية والوجدانية والاجتماعية ، وتوضح كيف تؤثر التغذية بصورة مباشرة على الذكاء من خلال تأثيرها على المخ ، أو بصورة غير مباشرة من خلال حماية المخ من أضرار

التلوث البيئي .

تنقلنا مقالة د. عواطف إبراهيم (ص ٢١) بعنوان اللعب التربوي الموجه إلى مجال لا يقل أهمية عن التغذية، وهو اللعب ، فتوضح دور اللعب في تنمية الشخصية في مراحل النمو المختلفة ، وتؤكد على توفير كل الإمكانات التي تيسر للطفل اللعب التلقائي والقصدي ، فاللعب قضية يجب أن تؤخذ بكل الجدية كما له من تأثير في نمو شخصية الطفل .

ومن اللعب ننتقل إلى الموسيقى والذكاء، وذلك في مقال د. أمال صادق (ص٢٤) وعنوانه: "أنت .. وطفلك .. والموسيقى" فتعرض الباحثة لأهم البحوث الحديثة التي تؤكد على تواصل الطفل واستجابته للأصوات منذ خلقه جنيناً في رحم الأم . وتتناول د. أمال صادق دور الموسيقى في تنظيم إيقاع المخ ، وبالتالي إثراء الذكاء ، سواء كانت الموسيقى والغناء هدفاً أم وسيلة لتعليم الأطفال ، وتؤكد د. أمال صادق على ضرورة اهتمام الأسرة والحضانة ودور الرعاية بالموسيقى في حياة الطفل .

وتقدم د. عبلة حنفي في مقالها (ص٢٩) بعنوان : علاقة ذكاء الأطفال برسومهم ، دلالة رسوم الأطفال كأداة ، فكل مرحلة عمرية تتميز بخصائص معينة تظهر في رسوم الأطفال ، هذا من جانب علم النفس النمائي، أما من جانب علم النفس المعرفي فإن رسوم الأطفال تستخدم في تقدير الذكاء ، وجوانب الشخصية المختلفة .

وتكتمل هذه الصورة : اللعب والموسيقى والرسم بمقالة الأستاذة فايزة نوار (ص٣٤) وعنوانها: الخيال في قصص

الأطفال ؛ حيث تتناول الباحثة الخيال في قصص الأطفال ، ولأن الخيال مكون أساسي في الذكاء بصفة عامة والذكاء الإبداعي بصفة خاصة، فهو يستحق منا وقفة للتأمل . الخيال في ذاته قيمة إيجابية تدعو لتنميتها لدى أطفالنا ، بما يسمح لهم بتجاوز الواقع إلى آفاق المستقبل ، إذن الخيال أمر مقبول ومحمود ولا خلاف على ذلك ، ولكن يأتي الخلاف حين يعرف الباحثون الخيال الإيجابي . هل كل خيال مفيد وإيجابي؟ لقد شطح الغرب بخيال الأطفال إلى عالم الجن واللامعقول ، وأدخل في الخيال التدمير والشرور والقوى السحرية . حتى فزع الآباء، وفزع المجتمع .

هنا أطرح مفهوم الخيال الرشيد، وهو ما يميز خيال الفنان هو الخيال الذي ينشط المخ ، وينشط العمليات العقلية في مسارات إيجابية . وهنا نجد أن اللعب والموسيقى والرسم والقصص يربطها جميعاً الخيال الرشيد الذي يثري تفكير الطفل

ووجدانه .

بعد أن عرضنا للمحور الأول ؛ حيث تعريف الذكاء ، والمحور الثاني ؛ حيث بعض المتغيرات التي تؤثر في الذكاء ، نعرض للمحور الثالث والخاص بتنمية الذكاء ، ونجد مقال د. شنودة (ص٣٦) وعنوانه دور الأسرة في تنمية ذكاء الطفل ، وهو بهذا يفتح للأسرة آفاقاً رحبة تتحول من خلالها مواقف الحياة اليومية إلى مواقف تنمي الذكاء ، من المواقف التي تبدو للآباء والمعلمين. إنها مواقف عصيبة يمكن أن تتحول لتصبح فرصاً لتنمية الذكاء .

يختتم الملف بمقال د. قدري حفني الذي يقدم لنا رؤية مختلفة عما سبق ، فعلى حين تناولت المقالات السابقة العوالم التي تؤثر في الذكاء (وإن كنا على يقين أن التفاعل هو الغالب وليس التأثر السلبي) فإنه يقدم لنا في مقاله (ص٣٨) وعنوانه : الإدارة الذكية للصراع ، كيف يوظف الطفل ذكاءه من أجل الحصول على ما يراه حقاً ، ففي مقال د. حفني عرض لتكتيكات يتفننها الطفل ، وخطط بديلة يحسن تصميمها وتوظيفها مراعياً في ذلك من يتفاوض معهم ، وطبيعة العلاقة التي تربطه بهم ، والظروف الحداثية للتفاوض . من أجل تحقيق ما يراه حقاً له .

وسوف يجد القارئ على امتداد صفحات الملف بحوثاً في الذكاء ، هي بعض البيبليوجرافيا التي جمعها د. عوض توفيق والتي تدعو القارئ من خلال ما تطرحه من قضايا للاستزادة من المعرفة في مجال الذكاء.

أدعو القارئ أن يتأمل ، ويناقش ، ويقبل أو يرفض ، ويتساءل ويسعى للمزيد من المعرفة .. فذكاء أطفال جدير ببذل الجهد والوقت ، وما قدمناه في هذا الملف يضع المهتمين بأمر الطفل أمام مسئولياتهم في تنمية الذكاء كحق من حقوق الطفل .

كل من كتب في هذا الملف حريص كل الحرص على التواصل مع القراء ، من خلال الاستفسار أو التساؤل أو النقد، ليظل التواصل بين "خطوة" وقرائها حول ما يهم أطفالنا .

ماهية الذكاء بين العلم والعوام!!!

د. أسامة حسن محمد معاجيني
مركز المهارات لتنمية القدرات الذهنية والعلاج النفسي التربوي - جدة

يتحدث عموم الناس عن الذكاء على أنه سمة من سمات الشخصية، مع أن الحقيقة ليست كذلك؛ لأن الذكاء عبارة عن قدرة عامة عند البشر كافة، وأن كل ما هو موجود منه عندهم يكون على درجات متفاوتة، حيث لا يوجد شخص درجة ذكائه صفر. ومعرفة درجة ذكاء المرء مهمة، ليست فقط لمعرفة قدرته على التعلم، بل أيضاً في فهم العلاقات الاجتماعية، حيث يقال إن الأكثر ذكاءً أقدر على التكيف الاجتماعي. وهناك مظاهر أخرى للذكاء يمكن أن نستدل بها على مقدار وجوده لدى شخص ما، فمثلاً الأكثر ذكاء أقدر على التعلم، وأحسن من حيث التذكر، وأقدر على إصدار الأحكام، وأقدر على الاستنتاج، وأقدر على التعامل مع الأرقام، وأقدر على إيجاد العلاقات، وأقدر على التفكير في حل المشكلات. وهكذا يمكن توضيح أن الذكاء بشكل عام مُستقًى من قدرة الفرد على التعلم واستعماله لما يتعلمه في التكيف والتأقلم مع الأوضاع الجديدة وحل المشكلات التي تواجهه، وهذا يقودنا إلى أن معرفة ماهية الذكاء بدقة مهمة لكل مُرَبٍّ يضطلع بمهمة التنشئة، سواء في البيت أو أي مؤسسة تربوية؛ لأن القدرة العقلية العامة (الذكاء) لها علاقة وثيقة بتلقي المعلومات والتحصيل العلمي في حال تساوي الظروف الأخرى، حيث إن الأكثر ذكاء أقدر على التعلم من الأقل ذكاء .

إن شرح مفهوم الذكاء وتوضيح ماهيته ليس سهلاً، فقد قيل: "حاول المعلم أن ينمي الذكاء، وحاول عالم النفس أن يقيسه، لكن أحداً منهما لم يعرف ماهيته". وعلى الرغم من ذلك فقد وجدت هناك محاولات جادة لتوضيح ماهيته، كان من أبرزها ما بيَّنه "سبيرمان" حين ذكر أن الذكاء يدخل في جميع قدرات البشر الإدراكية (المعرفية). وهنا يتبادر إلى الأذهان التساؤل التالي: هل الذكاء حكر على بني البشر؟ تجيب الدراسات العلمية التي أجريت على الحيوانات عن هذا التساؤل بتأكيدها على أن بعض الحيوانات تتمتع بدرجة ذكاء لا بأس بها، خاصة بعض الحيوانات القريبة في تركيباتها العضوية (D.N.A) مثل الشمبانزي، غير أن قدرة الإنسان على استغلال الذكاء وبناء الحضارات هي التي تميزه عن سائر المخلوقات الأخرى التي لديها قدر كافٍ من الذكاء، فلم نسمع قط بقطيع من القردة يبني حضارة مثل الحضارة الإنسانية أو يورث أبناءه وأحفاده تراث الآباء والأجداد كما يفعل الإنسان، وهنا نستطيع القول إن الإنسان أكثر تعلماً، وبالتالي أكثر ذكاء من سائر الحيوانات؛ لأنه خلق بتفضيل من الله لعمارة الكون. قال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) (الإسراء، آية ٧٠) .

والذكاء -حسب رأي "سبيرمان" - قدرة على اكتشاف الصفات الملائمة للأشياء أو صفات الأفكار الموجودة أمامنا وعلاقاتها بعضها ببعض، أي أن الذكاء قدرة على التفكير في العلاقات أو هو التفكير الإنشائي الذي يتجه إلى الحصول على غرض معين. فالشخص الذكي -حسب هذا الرأي- إذا ما واجه مشكلة فإنه يمكنه إدراك الصفات المهمة للأشياء والأفكار التي أمامه والمتعلقة بالمشكلة، كما أنه يستطيع أن يستدعي أفكاراً أخرى ملائمة تساعده في إيجاد حلول لتلك المشكلة. ويعتقد "سبيرمان" أن الذكاء يتضمن ثلاث قدرات واضحة المعالم، هي: قدرة الفرد على إدراك عملياته العقلية الخاصة، قدرته على اكتشاف العلاقات الحقيقية بين الأشياء المعروضة، سواء كانت مدركة حسياً، أو متصورة بالعقل، والقدرة على استنتاج المتعلقات .

أما "تيرمان" فيرى أن الشخص الأكثر ذكاءً من غيره هو من زادت قدرته على التفكير المجرد. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الذكاء لا يقتصر على التفكير المجرد أو البحث؛ لأنه لا يظهر فقط في حل الألغاز العقلية المعقدة، بل في حل الألغاز العملية التي تواجه الفرد في حياته اليومية، كالبحث عن مصدر بديل للطاقة أو وسيلة سهلة وسريعة للتنقل. وهناك اعتراضات أخرى على مفهوم "تيرمان" للذكاء، منها أن تعريفه للذكاء في هذه الصورة يوضح أن الذكاء لا يمكن أن يظهر في المستوى الإدراكي الحسي، في حين أن الذكاء يظهر فعلاً في العمليات الإدراكية الحسية ، ومما تجدر الإشارة إليه أن الذكاء لا يشتمل على حل المشكلات المجردة فقط، وإنما يشتمل أيضاً على حل المشكلات العملية، كما أن الذكاء يجد تطبيقاً مباشراً في ميدان العلاقات الاجتماعية، مثل الذكاء الاجتماعي، أي القدرة على التعامل مع الآخرين بنجاح .

هذا، ولقد أتى "ثورندايك" بتعريف للذكاء مغاير لما سبق حين يبين أن الذكاء عبارة عن القدرة على مجرد تكوين ترابطات واقترانات، وأن الأفراد يختلفون في الذكاء باختلافهم في القدر الذي تستطيع عقولهم أن تقوم به من عمليات الاقتران، أي أن العنصر الجوهري للذكاء هو القدرة على الاقتران، وخاصة الاقتران الموجه .

ويعتقد "ثرستون" أن كل سلوك شعوري يمكن أن ينقسم إلى خطوات متتابعة، الشعور بدافع، البحث عن مؤثرات مناسبة، العمل تبعاً لهذه المؤثرات، إرضاء هذا الدافع. ويرى ثرستون أن الذكاء، باعتباره صفة عقلية، هو القدرة على جعل المؤثرات في بؤرة الشعور في مرحلة تكوينها المبكرة التي تتم فيها. بمعنى يختلف الناس في ذكائهم باختلافهم في السرعة التي يشعرون فيها شعوراً واضحاً بدافع يتطلب الإشباع. والشخص الذي يشعر شعوراً كاملاً بدوافعه أذكى من الشخص الذي يتأخر شعوره بها؛ لأنه كلما بكر الشعور بالدافع زادت عنده الأعمال التي قد ترضيه .

ولكن هل جميع أنواع السلوك الشعوري تتضمن المراحل آنفة الذكر؟ وهل كلما كان الشعور أسرع بإرضاء الدافع كان الفرد أذكى؟ لقد أثبتت التجارب أن الذكاء ليس مجرد الشعور بالغرض، بل هو في إدراك هذا الغرض وفي اختيار أفضل الوسائل لتحقيقه .

ولـ "بينيه" وجهة نظر تتلخص في أن الذكاء يضمن الميل إلى توجيه الفكر إلى اتجاه معين والاحتفاظ بهذا التوجيه والقدرة على التكيف على نقد المرء لنفسه. لقد ذهب بعض الباحثين إلى أن هذا المفهوم للذكاء به خلط واضح بين الذكاء والعوامل الأخرى التي تسبب النجاح في الأعمال العقلية، كما أن الشواهد تبين أن الذكاء الشديد تصحبه كراهية مزاجية للعمل المستمر، كما يصحبه نقص في الثبات والاستمرار .

ولقد جمع "محيي الدين توق" معظم الأفكار الأساسية التي وردت سابقاً في تعريفه للذكاء حين قال: "الذكاء هو القدرة على التفكير بالعلاقات تفكيراً بنائياً موجهاً نحو هدف ما"، حيث يشتمل هذا التعريف قدرة تفكيرية أو عملية تفكيرية أساسية، تتناول علاقات الأشياء مع بعضها بعضاً، نوع التفكير البنائي يربط الغايات بالوسائل، ويبين الظروف الراهنة والمعارف السابقة، التفكير الموجه نحو هدف معين، هو إيجاد حل لمشكلة أو عملية أخرى. هذه العملية تنطوي على الإدراك، التذكر، التخيل، إصدار الأحكام، والاستنتاجات.

وقد ورد في بعض الدراسات أن بعض الباحثين يرجحون أن نسبة الذكاء في المتوسط

ثابتة، حيث الأرجح هنا القول بأن الذكاء موروث على أساس البراهين التالية :

١- أن الذكاء عبارة عن قدرة موروثة تزداد بنسبة ثابتة حتى تصل إلى حد مقدر سلفاً .

٢- الاعتقاد بأن قدرات الإنسان تنمو إلى حد مقدر، وأن هذه القدرات تتضح تدريجياً نتيجة النضج، فالإنسان كلما نضج تفتحت قدراته بشكل أكبر .

هذا، ولقد أشارت الدراسات المؤيدة لهذا الاتجاه أن هناك ثباتاً نسبياً للذكاء المقاس باختبارات الذكاء خلال فترات مختلفة من العمر، كما أن هناك معاملات ارتباط عالية بين نتائج اختبارات ذكاء للأشخاص بدرجات مختلفة من القرابة، فمعامل الارتباط بين التوائم المتشابهة مثلاً يصل إلى حوالي ٩٠٪، بينما يكون معامل الارتباط بين الأخوة ٥٠٪. هذا يعني أنه كلما زادت صلة القرابة تشابهت درجات الذكاء، وهذا يؤيد الاتجاه القائل بأن الذكاء موروث .

غير أن معظم الدراسات الحديثة تعارض هذا التوجه، حيث أشارت تلك الدراسات إلى وجود اختلافات كثيرة بين التوائم الذين رُبُّوا في بيئات مختلفة، كما تؤكد بعض الدراسات أن معرفة نسبة ذكاء طفل ما في مرحلة مبكرة من عمره لا تمكن الباحثين من التنبؤ بنسبة ذكائه وهو راشد، حيث وجدت بعض الدراسات أن معامل الارتباط بين علامات الذكاء لأشخاص في فترات الحضانة وعلاماتهم في مرحلة البلوغ كان صفراً تقريباً، بمعنى آخر لا يوجد ارتباط بين معامل الذكاء لهم وهم صغار وعندما أصبحوا كباراً.

كما تشير الدراسات الحديثة إلى أن الاختلافات في الذكاء مختلفة مع الاختلافات في المستويات الثقافية والاقتصادية، حيث يظهر ذلك دور البيئة بما تقدمه من خبرات في رفع درجة الذكاء. فالبيئات الفقيرة أو ذات المستويات المتدنية اقتصادياً واجتماعياً لا توفر للأبناء خبرات ثرية تحفزهم وتتحدى قدراتهم، ومن ثم لا تعكس في الغالب اختبارات الذكاء الدرجات الحقيقية لقدراتهم، بينما نجد أن البيئات الثرية توفر للأبناء خبرات متتالية وإمكانات تشجع التفكير والاستزادة والتحصيل، وهذه بدورها تنعكس في أداء الأبناء على الاختبارات، وهذا يقودنا إلى توضيح أن معامل الارتباط بين الذكاء والتحصيل الدراسي يصل في الغالب إلى ٨٤٪، وهذا يعني أن اختبارات الذكاء تقيس أموراً يتعلمها الطفل من البيئة المنزلية والمدرسية، لذا يمكن القول بأن درجة الذكاء تتغير بتغير البيئة والحالة الانفعالية للفرد، حيث إن الخبرات التي تقدم في بيئات أو أوساط غنية أفضل منها لدى الأوساط الفقيرة.

وهكذا نجد أنه من الضروري على الوالدين تهيئة البيئة المنزلية بكل ما يتحدى قدرات الأبناء من مواد تعليمية والقيام – قدر المستطاع – بإشباع حب استطلاعهم، خاصة أطفال مرحلة ما قبل المدرسة، عن طريق الإجابة عن تساؤلاتهم وتعويدهم على البحث عن المعلومة في مصادر مختلفة، وتعويدهم على التفكير في كل صغيرة وكبيرة .

وعلى المدرسة كذلك مسئولية كبرى لحفز الأبناء وجعل المناهج الدراسية أكثر متعة ومصدراً ثرياً لتنمية مهارات التفكير العليا والتفكير الابتكاري، مع ضرورة تنويع طرق التدريس؛ لتتحدى قدرات الطلاب، وتجعلهم يستخدمونها في إنتاج ما يفيدهم شخصياً، ويفيد أمتهم .

نمو الذكاء وعلاقته بالتلوث البيئي

د. عثمان لبيب فراج
أستاذ علم النفس وصحة البيئة – الجامعة الأمريكية

هل الذكاء موروث أم مكتسب ؟

أو بمعنى آخر إلى أيهما ينسب ذكاء الطفل : الوراثة أو البيئة؟

استمر هذاالجدل عصوراً طويلة على مر التاريخ بين المفكرين والفلاسفة حتى مشارف القرن العشرين، وتطورت الفلسفة وعلوم البحث في السلوك الإنساني إلى ما هو معروف اليوم بعلم النفس ، وانتشرت مختبرات علم النفس التي كان أول من أنشأها العالم الألماني ڤونت في جامعة نيبريج في أواخر القرن التاسع عشر لإجراء البحوث الميدانية .. والتي أدت إلى تبني المفهوم الذي يؤكد أن الذكاء الإنساني هو حصيلة التفاعل بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية ، والذي ينص على أن الوراثة والعوامل الجينية تضع الأساس في الإطار العام للذكاء ، وتأتي بعد ذلك البيئة بظروفها وعناصرها المختلفة لتشكل هذا الذكاء، وتفي منه قدراً يتناسب في مداه مع طبيعة تلك الظروف والعناصر البيئية ، فإذا كانت مواتية ومحفزة لنمو وبلورة الذكاء الموروث Geotype تمت تنمية الجزء الأكبر منه ، أما إذا كانت العناصر البيئية مثبطة ، وخاصة في مرحلة النمو حتى سن العشرين تقريباً ، فإن ما يتبلور من الذكاء عند نهاية تلك المرحلة Phenotype يكون محدوداً .

هذا وسيقتصر تركيزنا في هذا المقال على العوامل البيئية المؤثرة في تنمية الذكاء ، ونعود إلى استعراض العوامل الوراثية في مقال آخر إن شاء الله .

وهي عوامل متعددة سنستعرض هنا بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر :

هذا ويعتمد علماء النفس على البحوث المختبرية ، في دراسة تلك العوامل وقياس آثارها على نمو الذكاء مستخدمين في ذلك وسائل وأدوات عدة ، منها اختبارات الذكاء والنمو والتوافق الاجتماعي . والتحصيل الدراسي والملاحظة وغيرها ، كما يستخدمون بحوث المسح الميداني لتحديد نسب التخلف العقلي في المجتمع بين الأطفال في مراحل نموهم المختلفة . ونستعرض فيما يلي بعض تلك العوامل البيئية .

أولاً : الصحة والتغذية :

فمن الطبيعي أن يتأثر نمو الذكاء – كغيره من القدرات العقلية أو النفسية والجسمية بالحالة الصحية ، ومدى توافر مقومات النمو السليم من إشباع للاحتياجات الجسمية (من رعاية صحية وملبس ومسكن وخدمات صحية وتغذية) أو احتياجات نفسية (كالحاجة للحب والحنان والنجاح والانتماء والشعور بالأمن والأمان) .

وكمثال واحد على علاقة نمو الذكاء بالصحة والتغذية، قيدت وحدة بحث على أطفال القاهرة الكبرى أن معدلات انتشار التخلف العقلي تزداد بشكل واضح في المناطق المنخفضة المستوى الاقتصادي والاجتماعي (مثل حي البساتين – شبرا الخيمة وبولاق الدكرور ؛ حيث وصلت نسبة التخلف العقلي بين الأطفال إلى ٦,٥٪ ، بينما النسبة المعروفة لا تزيد على ٣٪ . وكانت تلك النسبة حوالي ٤٪ في الأحياء الأكثر ثراء، مثل جاردن سيتي والزمالك، واسمحوا أن أتوقف هنا لحظة لأؤكد معلومة مهمة ، وهي أنه ليس هو الفقر الذي يرتبط كعامل مسبب للتخلف العقلي، فكم من عباقرة العالم نشؤوا في مجتمعات فقيرة (مثل طه حسين وأنيشتين وغيرهما) ولكن السبب هو ما يفرزه الفقر من نتائج ، وأهمها نقص أو سوء التغذية ، وقد وجد من نتائج التحاليل المعملية أن أطفال المناطق المنخفضة في مستواها الاقتصادي يعانون سوء تغذية وخاصة في البروتين ، وهو يعتبر أهم العناصر اللازمة لنمو خلايا المخ للجهاز العصبي ، فإن أي نقص فيه في غذاء الأم الحامل أو غذاء الطفل المولود وخاصة في السنوات الثلاث الأولى من عمره يؤدي إلى قصور في نمو الذكاء الموروث . وبالتالي قد يصل إلى مستوى التخلف العقلي . هذا بالإضافة إلى عدم توافر البيئة الصحية المناسبة وغياب الخدمات الصحية والوعي الصحي في تلك الأحياء وكذلك انتشار الأمية بين الأمهات .

ثانياً : التلوث البيولوجي :

ويتمثل في انتشار الأمراض المعدية مثل الالتهاب السحائي (الحمى الشوكية) وحمى الصفراء وكلاهما إن لم يتم علاجه مباشرة بعد الإصابة ممكن أن يؤدي إلى تخلف عقلي أو قصور في نمو الذكاء، أو قد يترتب عليها بعض أنواع إعاقات التعليم كالنشاط الحركي الزائد أو عدم القدرة على التركيز والانتباه أو حالات الدسلكسيا ، والافازيا أي إعاقات القراءة والكلام .

ثالثاً : التلوث الإشعاعي :

نتيجة استخدام أشعة × بشكل متكرر والأم حامل بما يؤثر على نمو ذكاء الجنين أو التلوث بمادة مشعة (مثل اليود المشع أو غيره من الايزوتوبس التي تستخدم في علاج بعض الأمراض كالغدد الدرقية .. أو استخدام

العلاج الإشعاعي في علاج حالات السرطان بالنسبة إلى الأم الحامل أو نتيجة حوادث انفجار المحطة النووية لتوليد الكهرباء كما حدث في تشرنوبيل بروسيا .

رابعاً : التلوث البيئي ، الكيميائي :

ولقد بدأت مشاكل التلوث البيئي (وخاصة الكيميائي منه) تشغل العالم منذ أوائل التسعينيات عندما أدت البحوث المختبرية إلى اكتشاف علاقة بعض الغازات التي تنبعث من احتراق الوقود في المصانع والسيارات والمنازل بالخلل الذي يحدث في خلايا الجسم (وخاصة المخ والجهاز العصبي) مسبباً أنواعاً مختلفة من الأمراض، ومن هذه الغازات أول أكسيد الكربون والرصاص وأكاسيد الكبريت والنيتروجين ، وغيرها مما يؤدي إلى قصور نمو الذكاء أو إعاقات التعلم ، وقصور القدرة على التركيز .. بل وقد تؤدي إلى خلل في المادة الجينية أي الحامض النووي DNA لخلايا الجسم عامة ، وقد يمتد إلى الخلايا التناسلية للأم أو الأسرة . ولما كانت تلك المادة الجينية تحمل كافة الصفات الوراثية المنقولة من الأسرة والأم إلى الجنين، وقد ترتبت عليه ولادة أطفال يعانون من تخلف عقلي أو تشوهات بدنية أو بعض الاضطرابات الذهنية.

وتعتبر بويضات الأم أكثر تعرضاً للعوامل البيئية من إشعاعية وكيميائية؛ لأن بويضات الأم تكون موجودة عند ولادتها ، وبالتالي تمتد نتيجة احتمال تأثرها بتلك العوامل . فإن بويضة الأم التي تخصب عند زواجها يكون عمرها مساوياً لعمر الأم نفسها بينما الخلايا التناسلية للرجل (الحيوانات المنوية) فإنها تكون أولاً بأول، وبالتالي يكون عمرها قصيراً فتقل فرص تلوثها بالعوامل البيئية .

هذا وتعتبر مركبات المعادن الثقيلة كالرصاص والزئبق والصوديوم من الملوثات ذات التأثير في صحة الأم والطفل ، وخاصة كمسبب للتخلف العقلي والقدرة على التركيز .

والمشكلة في التسمم بهذه الملوثات أنها عندما تدخل الجسم (عن طريق الفم مع الطعام والشراب أو عن طريق التنفس أو عن طريق الجلد) للأم الحامل أو الطفل الصغير فإنها تسبب عدم ذوبانها في الماء بل تمتصها الخلايا الذهنية في الجسم ، فإن الجسم لا

يستطيع التخلص منها ، بل تبقى وتظل تتراكم ويزداد تركيزها مع استمرار التلوث، وتتركز في خلايا نخاع العظام، حتى يبدأ تأثيرها السمي على خلايا المخ والجهاز العصبي ، ولذا يلاحظ أن تأثيرها غالباً لا يظهر بعد أول الجرعات مباشرة ، بل قد يظل كامناً لفترات طويلة قد تمتد لسنوات ، ففي حالة إصابة الأم الحامل قد لا يظهر عليها أعراض التسمم ولا يظهر على الطفل بشكل تخلف عقلي إلا بعد سنوات قد تمتد إلى مرحلة دخول المدرسة .

ويعتبر الرصاص أكبر مصدر لتلك الملوثات ، حيث إنه أكثر المعادن الثقيلة انتشاراً في البيئية التي نعيش فيها، وأهم مصادره هو عادم السيارات التي تستخدم وقوداً يحتوى على الرصاص ، ومن مصادره أيضاً الفواكه والحمضيات المزروعة قرب أو على جانبي الطرق الرئيسية، مثل طريق الاسكندرية الزراعي ؛ حيث عادم السيارات تمتصه النباتات وخاصة الورقية منها، مثل الكرنب والملوخية والجرجير والسبانخ والنعناع التي تمتص الرصاص، فيسكن في أنسجتها ؛ حيث لا يجدي غسيلها قبل تناولها، لأن الرصاص تخلل أنسجتها الداخلية. كما يوجد الرصاص في الخبز والأغذية المكشوفة كاللحوم المعلقة بدكان الجزار .

وقد يكون ماء الشرب مصدراً للرصاص، إما نتيجة إلقاء مخلفات المصانع في مياه النيل أو نتيجة استعمال خزانات مياه أو شبكة المياه التي تحمل الماء للمنزل المصنوعة من الرصاص أو السخانات المنزلية .

ومن المصادر الأخرى للتلوث بالرصاص بعض الدهانات التي تطلى بها الجدران في المنزل أو الأثاث وتتعلق ذراته بالهواء ويتنفسها الأطفال .

كذلك يستخدم الرصاص في صناعة الأحبار التي تستخدم في طباعة الصحف والكتب، فتلوث أيدى مستخدميها أو استعمالها في لف الأطعمة وغيرها، فينتقل الرصاص إلى معدة الطفل عن طريق يديه ، كذلك يوجد الرصاص في بعض الأواني المصنوعة من الفخار أو الخزف، فينتقل إلى المعدة عن طريق استخدام تلك الأواني في حفظ أو نقل الأطعمة والمشروبات .

ويمكن الكشف عن وجود الرصاص في دم الطفل عن طريق تحليل الدم. وتعتبر الطرق العلاجية التي تستخدم في تخليص الدم منه من أعقد الأساليب الطبية وأكبرها تكلفة .

تلك كانت بعض صور التلوث البيئي التي تؤثر على نمو الذكاء أو تسبب إعاقة التخلف العقلي التي أمكن للعلم تحديدها كأساس لإعداد برامج الوقاية منها والتي نتركها إلى مقال آخر إن شاء الله .

التغذية والذكاء

د. يسر كاظم
باحث بقسم التغذية بالمركز القومى للبحوث

يلقي هذا المقال الضوء على أهمية الغذاء – من حيث النوع والكم والتوقيت– في تكون المخ ونموه ودرجة نضجه، وهو ما ينعكس على الذكاء والقدرات العقلية في مراحل العمر المختلفة بدءاً من تكون الجنين داخل رحم الأم إلى سنوات العمر الأولى ثم المراهقة وما يليها من مراحل عمرية. وهكذا نجد أن الاهتمام بالتغذية يبدأ من التغذية السليمة للأم الحامل والتي تؤثر تأثيراً مباشراً في صحة الجنين البدنية والعقلية، أي نقطة البداية بالنسبة إلى كل طفل .

لقد أصدر اليونيسيف تقريراً عن سوء تغذية الأطفال ورد فيه أن حوالي أربعين ألف طفل على مستوى العالم يموتون يومياً، ويتسبب سوء التغذية وما يترتب عليه من مشاكل صحية في معظم هذه الوفيات، أما الناجون من الموت ممن يعانون من سوء التغذية فإن مشكلات سوء التغذية تلازمهم طوال سنوات العمر، وكثيراً ما تتمثل في انخفاض مستوى الذكاء أو بعض صور الإعاقة الذهنية؛ نتيجة لتعرض المخ في سنوات العمر الأولى– وعلى الأخص السنة الأولى– للنقص الحاد في الغذاء كماً ونوعاً. ويؤكد التقرير على إمكانية تجنب هذه المخاطر لو توافر الوعي والفهم الصحيح لمفهوم التغذية ولو تضافرت الجهود لتوفير الغذاء بمفهومه الصحيح .

ومن هنا سيناقش هذا المقال أهمية الغذاء للنمو العقلي، على أساس تسليمنا بأن الذكاء بما يتضمنه من عمليات عقلية وانفعالية إنما هو تعبير عن مدى نضوج المخ وكفاءته في القيام بالوظائف المعرفية (العقلية). إن المخ –وهو من أهم أعضاء الجسم باعتباره مصدر الطاقة العقلية أو الذكاء– ينمو ويتشكل ويتطور بصورة ديناميكية مستمرة، متأثراً في ذلك بعوامل كثيرة، منها البيئة والتغذية والتلوث والثقافة المحيطة ونوعية التعليم، وبالتالي فالذكاء ليس شيئاً قدرياً جامداً تحدده فقط الجينات الوراثية والتكوين البيولوجي والتشريحي، وإنما هو يتفاعل ويتأثر ويتعدل، فنجد أنه بفعل عوامل عدة إما ينمو ويصل إلى أقصى مداه، وإما يثبط وينكمش ويضمر. ونمو المخ ونضوجه يتم بمعدلات مختلفة في المناطق المختلفة منه تبعاً للمرحلة العمرية، ومن ثم تختلف احتياجات المخ للمواد الغذائية باختلاف المرحلة العمرية، وهو ما يولد الاحتياج المستمر والمتنوع لبعض العناصر، مثل الفيتامينات والأملاح والمعادن التي تؤثر على مستوى الذكاء حتى مرحلة المراهقة، فالتوقيت السليم لتوفير هذه العناصر يعطي أفضل فرصة لنمو المخ ومن ثم نمو الذكاء .

مما تقدم ننتقل إلى طرح السؤال التالي: ما هو الغذاء الأمثل الذي يحتاجه المخ؟ وللإجابة عن هذا السؤال لا يمكننا القول بأن هناك غذاء واحداً محدداً يحتاجه المخ ليزيد الذكاء بصورة سحرية، وإنما المخ يحتاج إلى غذاء متنوع ومتكامل يشتمل بنسب متناسقة على العناصر الغذائية التالية : البروتينات– الكاربوهيدرات– الدهون– الأملاح– والفيتامينات. وسوف نعرض فيما يلي باختصار لأهمية كل من هذه العناصر .

أولاً :- البروتينات :

يتكون المخ من الخلايا التي تحتاج البروتينات، كما أن كل العمليات التي تجري داخل المخ تتم من خلال الموصلات العصبية المكونه من الأحماض الأمينية ومصدرها الأساسي البروتين. وتتنوع مصادر البروتين فتشمل اللحوم الحمراء، الطيور، البيض، البقول، الفول السوداني، فول الصويا، اللبن والجبن .

ثانياً : الكاربوهيدرات (النشويات والسكريات):

وتوجد في الخبز، الأرز، المكرونة، الحبوب، والفاكهة، الكاربوهيدرات هي المصدر الرئيسي للجلوكوز، وهو ما يعرف بوقود المخ، فالجلوكوز يحترق فتتولد منه الطاقة اللازمة لكل العمليات التي تتم داخل المخ، وبدونه لا يستطيع المخ أداء أي من نشاطه، فنقص الجلوكوز أو مصادره من مواد سكرية أو نشوية يؤدي إلى خلل شديد في النشاط الذهني.. فكل منا قد تمر به لحظات لا يستطيع خلالها التركيز في أي عمل نتيجة لمثل هذا النقص .

وقد قام بعض الباحثين بدراسة على مجموعتين من أطفال المدارس، مجموعة تتناول وجبة الإفطار: كوب لبن وخبز وعسل أو مربى قبل الذهاب إلى المدرسة، والمجموعة الثانية لا تتناول وجبة الإفطار. وقد وجد الباحثون أن الذين يتناولون وجبة الإفطار أقدر على التركيز والانتباه. كما كان أداؤهم أفضل على مقاييس الذكاء، وكانوا أقدر على التعلم واستيعاب المعلومات والمشاركة في الأنشطة المختلفة .

ثالثاً :- الدهون :

يحتاج المخ إلى الدهون؛ لما لها من أهمية كبيرة كمصدر أساسي لبناء المخ وللعمليات البيوكيمائية التي تتم بداخله، ويحتاج المخ بصفة خاصة إلى أوميجا مع أحماض دهنية وتوجد في اللبن كامل الدسم والأسماك وفول الصويا والفول السوداني والزيوت الطبيعية .

رابعاً:- الفيتامينات والأملاح والمعادن (وتعرف بالعناصر الصغرى):

يحتاج الجسم إلى هذه العناصر بكميات قليلة نسبياً، إلا أن لها أهمية قصوى بالنسبة إلى الجسم كله، فلا يمكن أن تتم أي عملية حيوية في الجسم بدونها، ونقص هذه العناصر يؤدي إلى خلل كبير يشمل الجسم كله بما في ذلك المخ؛ إذ يؤدي إلى قصور وتأخر في نمو المخ. وهو ما ينعكس على الذكاء وتدهور القدرة على التعلم وصعوبات في عملية التفكير والعمليات العقلية المختلفة. ومن أهم هذه العناصر الحيوية للمخ الحديد، الزنك، اليود، الكالسيوم، البورون، والسلينيوم وعناصر أخرى. أما الفيتامينات فمن أهمها: فيتامين أ، ب١ ، ب٦ ، ب١٢ ، ج ، حمض الفوليسك وبعض الفيتامينات الأخرى. وتوجد هذه الأملاح والفيتامينات في المواد الغذائية المبينة في الجدول التالي :-

العنصر	المواد الغذائية
الحديد	اللحوم الحمراء - الكبدة - البيض - الفول - العدس - البازلاء .
الزنك	اللحوم الحمراء - الطيور- الأسماك- والمأكولات البحرية - الردّة .
الكالسيوم	اللبن - الجبن - الزبادي - البيض - الفول - البازلاء .
اليود	الأسماك وجميع الكائنات البحرية.
الفلوريد	أساساً الماء .
فيتامين ب١	البقول - الخميرة - البيض - الفول السوداني- البندق - الكبدة - اللحوم الحمراء - الطيور.
فيتامين ب٦	الكبدة - الفول السوداني- الموز- البقول- الحبوب غير المقشورة.
فيتامين ج	الجوافة - الموالح - الطماطم - الخضراوات الورقية مثل الجرجير .

ونظراً لتعدد أنواع ومصادر الفيتامينات والأملاح والمعادن (العناصر الصغرى) وكذلك تنوع تأثيرها ودورها في نمو المخ ونضوجه فسوف نركز فيما يلي على بعض هذه العناصر كل على حدة، وهي: الحديد- اليود- الزنك- فيتامين ب١ (الفيامين)- فيتامين د .

١- الحديد: يعتبر الحديد من أهم العناصر الحيوية لصحة المخ وكفاءته، وله تأثيره المباشر على الذكاء. ويعتبر نقص الحديد من أكثر المشاكل الغذائية شيوعاً على مستوى العالم. ويكون هذا النقص حساساً شديداً وذا آثار ضارة وحادة، خاصة على الأطفال الذين يعانون من الطفيليات في الجهاز الهضمي، إذ إنها تؤدي إلى فقد الدم وإعاقة امتصاص الحديد بصورة طبيعية، إلى جانب زيادة احتياج هؤلاء الأطفال للحديد. إن الأطفال يولدون ولديهم مخزون من الحديد يكفي لمدة تتراوح بين ٤-٦ أشهر، ولذلك فهم لا يحتاجون إلى مصدر خارجي للحديد حتى سن ٦ أشهر، بعدها يحتاج الأطفال إلى الحديد بصورة ضرورية جداً لنمو المخ بصورة طبيعية، وذلك حتى بالنسبة إلى الأطفال الذين يحصلون على رضاعة طبيعية، فإنهم أيضاً يحتاجون إلى مصدر خارجي للحديد، فلبن الأم مصدر غير كاف للحديد بالرغم من كفاءته الغذائية المرتفعة بالنسبة إلى باقي العناصر الغذائية. ومما لا بد من الالتفات إليه عند مناقشة موضوعات التغذية الكيفية التي يتم بها التفاعل بين المواد الغذائية المختلفة بعضها البعض، فهناك مواد غذائية تعوق امتصاص بعض مواد غذائية أخرى، في حين أن هناك مواد تساعد على تحقيق الامتصاص، فالحديد كعنصر هام يعوق امتصاصه الألياف الموجودة في الردة مثلاً والتنين الموجود في الشاي، وهكذا فالجمع بين بعض مواد غذائية معينة في نفس الوجبة قد يعوق امتصاص بعض العناصر الهامة. ويتم امتصاص الحديد من اللحوم والكبد بمعدل أعلى من امتصاصه مثلاً من البقول، في حين يكون الامتصاص ضعيفاً من البيض. ومن المهم أن نشير هنا إلى أن الأطفال الذين لديهم نقص في الحديد يعانون ضمن ما يعانون من التبلد الذهني وبطء الاستجابه والتوتر، ويؤدى علاج وتصحيح نقص الحديد في الدم لدى الأطفال من خلال تزويدهم بجرعات الحديد المناسبة إلى اختفاء هذه الأعراض .

٢- اليود:- يعتبر اليود عنصراً هاماً جداً بالنسبة إلى نشاط الغدة الدرقية التي تؤثر على النشاط العام للجسم عن طريق ما تفرزه من هرمونات، ويؤدي نقص هذا العنصر إلى بطء شديد في نمو المخ وفي أداء كل الوظائف العقلية. وقد أجريت دراسة ضمت مجموعة من الأطفال الذين يعانون من نقص طفيف في عنصر اليود ومجموعة أخرى ليس لديها نقص في هذا العنصر، وبمقارنة نسب ذكاء المجموعتين وجد أن معدل ذكاء المجموعة التي تعاني من نقص عنصر اليود يقل كثيراً بالمقارنة بالأطفال الطبيعيين، والأهم من ذلك أن تصحيح نسبة اليود لدى أطفال المجموعة الأولى أدي إلى تحسن أدائهم في اختبارات الذكاء. وهو ما يؤكد على أهمية عنصر اليود وتأثيره على ذكاء الأطفال .

٣- الزنك :- هذا العنصر هام جداً بالنسبة إلى الجسم بصفة عامة وبالنسبة إلى المخ بصفة خاصة، وينطبق عليه ما ينطبق على الحديد. فما يعوق امتصاص الحديد يعوق أيضاً امتصاص الزنك، ولذلك فقد وجد أن

معظم الأطفال الذين يعانون من نقص الحديد يعانون أيضاً من نقص الزنك، فالمصادر الغذائية للحديد هي نفسها المصادر الغذائية للزنك، وهو ما يجب أن ننتبه إليه عند اكتشاف وعلاج أنيميا نقص الحديد .

٤- فيتامين ب١ (الفيتامين):- وهو يعتبر من العناصر الهامة لصحة الجهاز العصبي، ويؤدي نقصه إلى ضمور ذهني وتوتر شديد. ونشير هنا أيضاً إلى الفيتامينات أ، ب٦، ب١٢، ج، د، وحمض الفوليك، فكلها عناصر هامة، ويمكن توفيرها من خلال الغذاء المتكامل المتنوع .

٥- **فيتامين د**:- يميز فيتامين د أنه يصنع داخل الجسم عند تعرض الطفل لكمية كافية من أشعة الشمس فوق البنفسجية، ونظراً لأن نمط الحياة وخاصة في المدن لا يضمن للطفل التعرض لأشعة الشمس فوق البنفسجية بالقدر المطلوب، ونظراً أيضاً لأن التلوث الشديد للغلاف الجوي يعمل كطبقة عازلة تمنع وصول قدر مناسب من أشعة الشمس فوق البنفجسية المفيدة للجسم، فإنه قد أصبح من الضروري حصول الأطفال على جرعات إضافية من فيتامين د من مصدر خارجي .

وننتهي مما تقدم إلى أن هذه العناصر الصغري لها دورها الهام في نمو المخ ونضوجه وحمايته، وهو ما سنجمله فيما يلي من خلال أربعة محاور:-

أ - دور العناصر الصغرى أثناء المرحلة الجنينية : فهذه العناصر أساسية لكل التفاعلات الحيوية والبيوكيميائية في المخ، وقد ثبت أن نقص الزنك مثلاً لدى الأم الحامل يؤدي إلى اختلال وتشوهات في تكوين المخ والجهاز العصبي للجنين، مما ينتج عنه ولادة طفل معاق، وهذا ينطبق أيضاً على نقص حمض الفوليك، الحديد، اليود، وفيتامين أ لدى الأم أثناء فترة الحمل .

ب - دور العناصر الصغرى في حماية المخ من الملوثات البيئية المحيطة وعلى الأخص الرصاص والكادميوم : نحن جميعاً محاصرون بالملوثات البيئية المختلفة التي تؤثر سلبياً على المخ وتعوق عمله بكفاءة، ويكون لهذه الملوثات تأثير سلبي أشد قوة على الأطفال، حيث يكونون في مرحلة التكوين إلى جانب استمرار تعرضهم لهذه الملوثات لفترة زمنية أطول. ومن هذه الملوثات الشديدة السمية على المخ الرصاص والكادميوم والمبيدات الحشرية ومبيدات الحشائش الضارة.

(١) الرصاص هو عنصر معدني ثقيل -أي لا يستطيع الجسم التخلص منه - وهو شديد السمية على الجهاز العصبي؛ إذ يؤدي تدريجياً إلى تدمير الخلايا العصبية تبعاً لكمية الرصاص التي يتم امتصاصها. ويوجد الرصاص في الهواء الذي نستنشقه ومصدره عوادم السيارات والدهانات المنزلية ومواد الطلاء، هذا إلى جانب بعض مواسير المياه المصنعة من الرصاص، والتي يصل من خلالها الرصاص إلى مياه الشرب، وأيضاً بعض المأكولات المكشوفة والمعرضة للتلوث بالرصاص، أو التي يُستخدَم في إعدادها بعضُ أنواع الألوان الصناعية. وتكمن أهمية التغذية السليمة هنا في أن بعض العناصر مثل الزنك قد ثبت أنها تعوق امتصاص الرصاص ووصوله إلى الدم ومنه إلى المخ، وعلى ذلك فإن تناول الزنك بكميات مناسبة يقلل من أضرار الرصاص الموجود في الجو. ومن المهم أن نذكر أن هناك أعراضاً وعلامات معينة تشير إلى تعرض المخ للتلوث بالرصاص، ومنها النسيان ونقص القدرة على التركيز، وسرعة الانفعال وصعوبة إتمام عمل حتى نهايته. ونظراً لخطورة تأثير الرصاص على النشاط العقلي للأطفال نجد من المفيد أن نعرض لبعض المؤشرات التي تساعد الآباء والمعلمين على ملاحظة المشكلات التي قد تظهر على الأطفال نتيجة لتعرضهم للرصاص، إذ إن الاكتشاف المبكر يساعد في علاج آثار التعرض للرصاص. وتجمل هذه المؤشرات في التساؤلات التالية :

- هل يتشتت الطفل بسهولة أثناء قيامه بعمل ما ؟
- هل يصعب على الطفل الاستمرار في التركيز في عمل محدد لفترة زمنية معقولة ؟
- هل يصعب على الطفل الاعتماد على نفسه وإنهاء العمل المطلوب منه بأقل مساعدة خارجية؟
- هل الطفل غير منظم وغير مرتب في أدائه؟
- هل يعتبر الطفل زائد النشاط والحركة؟
- هل الطفل سريع الاستثارة والعصبية عند مواجهته بعض الصعوبات؟
- هل الطفل عنيف وعدواني؟
- هل الطفل كثير السرحان؟
- هل يصعب على الطفل اتباع التعليمات البسيطة؟
- هل يصعب على الطفل اتباع إرشادات مركبة متتالية؟

فكلما زاد عدد الإجابات «بنعم» كان هذا مؤشراً على زيادة تعرض الطفل للرصاص، ومن ثم زادت حاجته إلى جرعة إضافية من الزنك الذي يبطل أو يخفف من تأثير الرصاص بعد استشارة الطبيب المختص .

(٢) الكادميوم: وهو أيضاً معدن ثقيل

عبد العزيز، سناء،

العلاقة بين نقص الحديد وكل من الذكاء وسلوك الأطفال

رسالة ماجستير قدمت لكلية الطب، جامعة طنطا عام ١٩٩٠ .

هدف الرسالة التعرف على أثر نقص عنصر الحديد على كل من درجة ذكاء الأطفال وسلوكهم الاجتماعي. ولتحقيق هذا الهدف أجرت الباحثة دراسة تجريبية على عينة ضمت ٦٠ طفلاً تتراوح أعمارهم بين ٥-١٠ سنوات، واستخدمت في الدراسة الأدوات التالية: اختبار تشخيص عنصر الحديد، اختبارات سيكولوجية تم تقنينها؛ لتكون صالحة للتطبيق على الطفل المصرى .

وبعد إجراء الدراسة تبين من النتائج أن نقص الحديد له تأثير مباشر على درجة ذكاء الأطفال وسلوكهم الاجتماعي، إذ وجدت هذه القياسات أن عنصر الحديد أقل بكثير في الأطفال المرضى مقارنة بنظرائهم الأصحاء. وبناء على هذه النتيجة أكدت الدراسة على أن نقص عنصر الحديد بالجسم يؤثر على ذكاء وسلوك الأطفال، سواء كان مصحوباً بأعراض الأنيميا أو غير مصحوب، وأن درجة التأثير تختلف باختلاف شدة نقص الحديد، وهي بذلك متناسبة تناسباً طردياً .

شديد السمية على المخ، ويوجد في دخان السجائر، فالطفل الذي ينشأ مع أب أو أم من المدخنين يتعرض لاستنشاق الكادميوم، الذي يتم امتصاصه داخل جسمه، ويؤدي إلى تدمير بعض خلايا المخ والجهاز العصبي لديه، ويترتب على ذلك انخفاض مستوى ذكائه. ومما يزيد من خطورة الكادميوم أن يتعرض نفس الطفل لامتصاص الرصاص من البيئة، إذ يضاعف ذلك من التأثير المدمر لكليهما، ويزيد من أضرارهما الجسيمة .

جـ- دور العناصر الصغرى في الحفاظ على اتزان الحالة المزاجية والانفعالية لدى الأطفال : حين نتكلم عن الذكاء في مفهومه الحديث لا نستطيع أن نغفل العوامل الانفعالية والمزاجية، فما يؤثر على هذه العوامل يؤثر على الذكاء سلباً أو إيجاباً. ولذا وجب الانتباه إلى تأثير العناصر الصغرى على الحالة المزاجية والانفعالية للأطفال. فنقص بعض العناصر مثل الزنك يزيد من مظاهر العنف والعدوانية لدى الأطفال، وبإعطاء الجرعة المناسبة من الزنك لتعويض هذا النقص تتعدل هذه السلوكيات. كذلك فإن نقص الحديد يؤدي إلى التوتر، كما أن نقص بعض الفيتامينات يكون له تأثير سلبي على الحالة المزاجية.

د - الربط بين الأدوار الهامة للعناصر الصغرى والوضع البيئي والصحي للأطفال في مصر : يتعرض الأطفال في مصر بمعدل مرتفع للإصابة بفيروسات وميكروبات وطفيليات الجهاز الهضمي. ويستمر هذا المعدل المرتفع للإصابة بصفة خاصة خلال السنة الأولى من العمر، وتكون هذه الإصابة مصحوبة غالباً بإسهال شديد يؤدي إلى نقص شديد في التوازن الغذائي، كما يقلل أيضاً من قدرة الجهاز الهضمي على امتصاص الغذاء المتاح، وهو ما يزيد الموقف سوءاً، وهذا ما يدفعنا إلى التأكيد على ضرورة توفير التغذية المتكاملة للأطفال في مصر، وخاصة خلال السنة الأولى من العمر. وقد ورد في تقرير مشروع متابعة نظام التغذية في مصر الصادر عام ١٩٩٥ عن معهد بحوث تكنولوجيا الغذاء أن هناك نقصاً لدى الأمهات والأطفال في تناول بعض العناصر الغذائية الهامة، وهي فيتامين أ- الكالسيوم- فيتامين ج - فيتامين ب٢- فيتامين ب٦- الريبوفلافين- الحديد- الزنك. مع اختلاف في درجات النقص من محافظة إلى أخرى. وكما هو واضح فإن هذه العناصر جميعها هامة جداً بالنسبة إلى نمو المخ ونشاطه، كما أن نقصها يجعل المخ أكثر تعرضاً للتأثير الضار الناشئ عن الملوثات العديدة الموجودة في البيئة، وهو ما يؤثر بالسلب على الذكاء والنمو العقلي للطفل في مصر .

ونعرض فيما يلي لمجموعة من الدراسات والتجارب التي تناولت العلاقة بين التغذية والذكاء من خلال الآثار المترتبة عن نقص العناصر الهامة على نمو ونضج المخ، والتي انعكست من ثم على الذكاء.. وتتناول هذه الدراسات نقص هذه العناصر في المراحل العمرية المختلفة للطفل: المرحلة الجنينية فمرحلة الرضاعة وسنوات الطفولة. وإذا بدأنا بالمرحلة الجنينية بمرحلة الرضاعة فإننا نكون بصدد الحالة الصحية وتوازن الغذاء لدى الأم أثناء فترة الحمل وفترة الرضاعة، وأيضاً رصيد الأم من هذه العناصر الهامة والذي تكوَّن لديها على مدار سنوات عمرها، فهذا كله ينتقل إلى طفلها في أثناء فترة الحمل، ويكون الركيزة الأولى لتكوينه، ويؤثر بصورة مباشرة سلباً أو إيجاباً على الحالة الصحية- البدنية والعقلية- للجنين. وجدير بالذكر أن بعض تشوهات الجهاز العصبي وكثيراً من الإعاقات الذهنية يكون سببها المباشر نقص بعض العناصر الهامة، مثل الزنك وحمض الفوليك والحديد وغيرها لدى الأم أثناء فترة الحمل، ومن هنا كانت أهمية تناول الأم أثناء فترة الحمل لمجموعة الفيتامينات والأملاح الهامة، بالإضافة إلى الحرص على التغذية المتوازنة، والتي يجب أن تستمر أيضاً طوال فترة الرضاعة؛ لما لها من تأثير على جودة لبن الأم، والذي يؤثر بصورة مباشرة على نمو الطفل الرضيع بصفة عامة وعلى نمو المخ والقدرات العقلية بصفة خاصة. ونشير هنا إلى تجربة أجريت على ثلاث مجموعات من الأمهات أثناء فترة الحمل :

- المجموعة الأولى تم إعطاؤها تغذية خاصة تحتوي على بروتينات وكاربوهيدرات وفيتامينات وأملاح.
- المجموعة الثانية تم إعطاؤها كمية أقل كثيراً من البروتينات والزنك والحديد واليود.
- المجموعة الثالثة تم إعطاؤها غذاء لا يحتوي على أي بروتينات .

وقد كشفت نتائج التجربة عن وجود علاقة موجبة وثيقة بين كمية البروتينات التي تحصل عليها الأم أثناء فترة الحمل ونسبة ذكاء الأطفال وقدرتهم على الانتباه والتعلم. كما تنعكس الحالة الصحية للأم أثناء فترة الرضاعة على ما يحصل عليه الطفل من غذاء- لبن الأم، ففي كثير من الأحيان تكون الأمهات أنفسهن في حالة من سوء التغذية تودي إلى نقص في كمية وجودة لبن الأم. وهذا يؤثر سلباً على ذكاء الأطفال الرُّضَّع وعلى مستوى قدراتهم العقلية، بل ويستمر هذا

الملحم، إسماعيل

الذكاء وتحديات المستقبل: في: بناة الأجيال (دمشق) س٨، ع٣٠ (نيسان ١٩٩٩) ص ص ٨٩-٩٦.

بينت الدراسة في البداية أهمية الذكاء ومدى الحاجة للذكاء البشري في ظروف التبدلات والتحولات العلمية والنفسية الكبيرة، وعرضت الدراسة بعد ذلك الذكاء، وبينت مدى الاختلاف بين العلماء في تعريفه، وقامت الدراسة بعد ذلك بتفسير المقصود بالذكاء، وانتقلت من ذلك إلى شرح الجدل المثار حول دور كل من الوراثة والبيئة في مستوى الذكاء، ثم وضحت حدود مقاييس الذكاء، وشرحت الدراسة أثر البيئة على ذكاء الأطفال، مبينة أن للبيئة أثراً كبيراً على ذكاء الأطفال، ومدللة على ذلك بما قام به عالمان يابانيان لإثبات أثر البيئة على ذكاء الأطفال. وخرجت الدراسة من ذلك بنتيجة مؤداها أن البيئة التي يعيش فيها الطفل في سن مبكرة يكون أثرها كبيراً في السنوات اللاحقة. وعزت الدراسة ذلك إلى غنى البيئة بالمثيرات التي تؤثر في ذكاء الأطفال، وتؤدي إلى سيادة نمط من الأطفال ذوي نشاط مميز ومحبين للاطلاع . وطالبت الدراسة في النهاية بضرورة الاهتمام بسنوات العمر المبكرة؛ لما لها من أثر في الذكاء بعد ذلك .

التأثير طوال سنوات عمرهم .

تجربة أخرى أجريت على مجموعة من الأطفال الذين تعرضوا لسوء التغذية المتمثل في نقص الطاقة والبروتينات والفيتامينات والأملاح. وذلك في العام الأول من عمرهم. وقد ترتب على سوء التغذية تأخر شديد في العمليات العقلية وفي الأداء في اختبارات الذكاء وفي القدرة على التعلم. وقد لازمتهم هذه الصعوبات طوال سنوات التعليم .

وفي دراسة مقارنة على مجموعة من الأطفال الذين يعانون من نقص الحديد ونقص فيتامين أ وفيتامين ج ومجموعة أخرى من الأطفال لا يعانون هذا النقص، فقد ظهر لدى المجموعة الأولى من الأطفال صعوبة في الأداء على اختبارات الذكاء مع صعوبة في القدرة على الانتباه، بالإضافة إلى مشاكل سلوكية تمثلت في زيادة العنف، ولم يظهر لدى المجموعة الأخرى أي من هذه المظاهر السلبية.

كما أجريت دراسة على مجموعة من الأطفال تتراوح أعمارهم بين ١٢-١٣ عاماً، وتم تحديد مستوى ذكائهم، وكان معظهم على نفس المستوى الغذائي. وقد تم من خلال هذه الدراسة تقسيم هؤلاء الأطفال إلى ثلاث مجموعات مع بداية العام الدراسي: المجموعة (١) لا تعطى أي عناصر إضافية، المجموعة(٢) أعطيت مجموعة من الفيتامينات والأملاح والمعادن المجموعة (٣) أعطيت كبسولات PLACEBO (أي كبسولات شبيهة الشكل بكبسولات المجموعة (٢) إلا أنها لا تحتوي على أي عنصر علاجي). وفي نهاية العام الدراسي أعيد قياس ذكاء المجموعات الثلاثة، وتمت مقارنة أدائهم على اختبارات الذكاء قبل وبعد التجربة، كما تمت مقارنة بين أداء المجموعات الثلاثة فيما بينها، وقد وجد أن المجموعة (٢) التي أعطيت مجموعة من الفيتامينات والأملاح قد ارتفعت نسب ذكاء أفرادها بصورة ملحوظة مقارنة بنسب ذكائهم قبل إعطائهم الفيتامينات والأملاح، كما تفوق أداء المجموعة (٢) على أداء المجموعتين الأخريين، وذلك في الأداء على مقياس الذكاء غير اللفظي. وهو ما يؤكد أهمية الفيتامينات والأملاح بالنسبة إلى الذكاء طوال مرحلة الطفولة .

إن ما عرضنا له فيما تقدم يؤكد وجود علاقة وثيقة بين التغذية والذكاء، فإذا كانت التغذية سليمة ومتوازنة كانت فرص نمو ونضوج المخ أكبر، أي كان الذكاء أفضل، إلا أننا لا يمكن أن نغفل أن الطفل لا يحيا بالغذاء وحده، فالطفل محاط بعوامل اجتماعية ونفسية وبيئية قد تؤثر هي في ذاتها سلباً أو إيجاباً على ما يحصل عليه الطفل من غذاء، وتؤثر أيضاً سلباً أو إيجاباً على ذكائه. وكما أن الأم هي المصدر الأول لغذاء الطفل فهي أيضاً المصدر الأول لتفاعل الطفل الاجتماعي والنفسي والبيئي، سواء كان هذا التفاعل سلبياً أو إيجابياً، وخاصة في السنة الأولى من عمر الطفل؛ لما لها من أهمية خاصة بالنسبة إلى نمو المخ ونمو الذكاء، فلو أن الطفل تعرض لسوء التغذية خلال السنة الأولى من عمره، وصاحب سوء التغذية سلوك أو اتجاه سلبي من الأم نحو طفلها، فإن هذا في ذاته يزيد من الأضرار المصاحبة لسوء التغذية، وهذا ما أثبتته دراسة على مجموعة من الأطفال الذين يعانون من صعوبات حادة نتيجة لسوء التغذية، فقد كشفت الدراسة أن أمهات هؤلاء الأطفال يكُنَّ أقل تعاطفاً وأقل استجابة لبكاء أطفالهن، ويملن إلى البعد عنهم لفترات زمنية طويلة، كما يقل اهتمامهن بشكل عام بأطفالهن، ويقل ارتباطهن العاطفي بهم وتفاعلهن الحسي معهم، حتى ولو بالنظر إلى أطفالهن أو الاستجابة لنظرة أطفالهن، وتكون المحصلة طفلاً مهملاً يعاني من سوء التغذية ولا يلقى رعاية أو اهتماماً عاطفياً؛ مما يزيد الموقف سوءاً، فيصبح أكثر وهناً وأقل بكاءً وأضعف حركة، فتصبح استجابة الأم أكثر تباعداً وفتوراً، وهكذا يدخل الطفل في دائرة مفرغة من التردي والإهمال الحسي والعاطفي وهو ما ينعكس بالسلب على نموه العقلي ونمو ذكائه وقدراته العقلية والانفعالية. وغني عن البيان أن دور الأم في تغذية طفلها ودور الأم في تفاعل الطفل اجتماعياً ونفسياً وتأثير ذلك كله على نمو ذكائه يمتد طوال سنوات الطفولة، وأحياناً إلى ما بعد ذلك، وهنا لا بد أن ننبه إلى أهمية العمل على زيادة الوعي لدى الأمهات- قد يكون ذلك من خلال برامج

منظمة- باحتياجات أطفالهن وأهمية تلبيتهن لهذه الاحتياجات العاطفية والحسية والغذائية. وكلها احتياجات تتداخل بعضها مع بعض، وتؤثر في بعضها البعض، ويكون للمحصلة دور بالغ الأهمية في نمو ذكاء الطفل وصحته البدنية والنفسية .

إن المواد الغذائية هي أولاً وأخيراً مواد كيمائية مركبة تدخل الجسم، تؤثر فيه وتتفاعل معه بصور مختلفة، فإذا كان التفاعل إيجابياً أدى ذلك إلى نمو المخ ونضوجه، وأعطى أفضل فرصة لوصول ذكاء الطفل إلى أقصى مداه، وإذا كان التفاعل سلبياً أدى إلى إعاقة نمو المخ بصورة طبيعية، فيؤثر ذلك على فرص نمو الذكاء والقدرات العقلية المختلفة .

ومما يزيد من أهمية وخطورة الغذاء عن أي عنصر كيميائي آخر يدخل الجسم هو أنه عنصر لصيق بحياة أي إنسان، فلا حياة بدون غذاء، وهو أيضاً جزء من نظامه اليومي وعاداته وتقاليده، هو جزء من الحياة نفسها يتغير بتغير المستوى الاقتصادي والثقافي والتعليمي، وفي النهاية يؤثر بكل هذه المتغيرات على العقل البشري وذكاء الإنسان. فإذا أردنا جيلاً من أصحاء العقل والبدن فلا بد من تناول مفهوم التغذية السليمة باعتباره أحد المداخل الرئيسية إلى تحقيق هذا الهدف، أي تشكيل جيل من العقول على درجة عالية من الكفاءة . هذه دعوة لتبني مفهوم التغذية الواعية المتوازنة ليس فقط بالنسبة إلى الأطفال والأمهات بل إلى الأسرة والمجتمع ككل، مع ضرورة نشر وتعميق هذا المفهوم وتطبيقاته لدى مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، مع التأكيد على العلاقة الوثيقة بين نوعية التغذية التي تقدم إلى الطفل- بدءاً من المرحلة الجنينية- وذكائه وقدراته العقلية. ولا بد أن يكون قد وضح لنا مما تقدم أن التغذية لا تقاس فقط بالكم وإنما أيضاً بالكيف، أي بما تحتوي عليه من المعادن والأملاح والفيتامينات، أي العناصر الصغرى التي يعاني الكثيرون من نقصها على الرغم مما لها من أهمية بالغة، ليس فقط في تحسين الأداء العقلي ونمو الذكاء، ولكن أيضاً في المساعدة على مقاومة التلوث البيئي، بل وفي تعديل بعض السلوكيات والحد من العنف لدى الأطفال .

الهدف واضح، والسبيل إليه متاح؛ تحقيقاً لحياة أفضل ومستقبل أكثر استقراراً وأجيال تمتلك عقولاً أكثر نضجاً ونماءً .

اللعب التربوي الموجه وعلاقته بإعداد معلمة الروضة

أ.د. عواطف إبراهيم محمد

أستاذ المناهج وطرق تدريس طفل ما قبل الروضة

جامعة عين شمس

ووكيلة كلية التربية بطنطا سابقاً

تقوم فلسفة تربية الطفولة، في العالم المعاصر عامة وفي مصر خاصة، على مساعدة طفل الروضة على ممارسة حقوق وواجبات دوره الاجتماعي المتوقع منه، ليكون مواطناً مفكراً، منتجاً، مبتكراً، بالقدر الذي تسمح به سنه .

فإذ كانت التربية هي وسيلة المجتمع في حل مشكلاته فإن وسيلة التربية المنشودة هي :

أولاً : إتاحة اللعب الحر للطفل؛ لتتعرف المعلمة من خلاله على إمكاناته واستعداداته الفطرية.

ثانياً : تهيئة الفرص المناسبة لممارسة الطفل إمكاناته الفطرية[1] لاستثمارها وتنميتها لتأكيد ذاته.

ثالثاً : مساعدة الطفل على تكوين تصور سليم لذاته وتصور سليم لبيئته التي يتعامل معها، فضلاً عن تكوين تصور سليم لتقديره للزمن .

فالتربية لا تتم في فراغ، ولكن تبعاً لمنهج مدروس يتضمن: محتوى[2]، كما يتضمن طرقاً خاصة لتقديم هذا المحتوى للطفل، طرقاً تتطابق مع طبيعة نمو ذكائه، فضلاً عن وسائل معينة تشحذ نشاطه الذهني للبحث والاستطلاع والكشف .

ولما كان ذكاء الطفل حسياً حركياً[3] في هذه المرحلة المبكرة من عمره، فإن اللعب الحر ثم اللعب الموجه هو أساس تربية الطفل وتعليمه في الروضة، وليكن معلوماً أن كل تعلم في الروضة يعتمد أساساً على التدريب الحسي للطفل، أو بمعنى آخر تربية حواس الطفل التي تعتبر منافذ المعرفة عنده .

فالمحتوى ينمي المعلومات والحقائق عند الطفل، بينما طرق التعليم هي التي تشكل أنماط تفكيره، بمعنى أنها طرق تنمي انتباهه وإدراكه وتصوره وتذكره، كما تساعده على التعبير عن ذاته، فضلاً عن تنمية وجدانه وخياله؛ لتكوين مثل أعلى يحتذيه .

ففي المجال الحركي: تبدأ المعلمة بألعاب غير مقيدة يقوم بها الطفل، وفي الارتجال الحركي يختار الطفل لنفسه حركات يمارسها على أنغام الموسيقى يسمعها، ووظيفة

(١) إمكاناته الفطرية : الاستعدادات التي ولد بها .

(٢) محتوى : مضمون أو موضوعات أو أنشطة .

(٣) حسي حركي : لا يقاس الذكاء بمقياس ولكن الذكاء موجود وكامن في حواس الطفل الخمس وهي المدخل لمعرفته للعالم ونشاطه وحركته في البيئة .

النجاحي، فوزية محمود عبدالمقصود

نمو التفكير المنطقي عند طفل ما قبل المدرسة في ضوء الاستعداد العقلي (الذكاء) والمستوى الاجتماعي

دراسة امبريقية في ضوء النمو المعرفي عند بياجيه .

رسالة دكتوراه قدمت لكلية البنات، جامعة عين شمس عام ١٩٩١ .

هدف الرسالة دراسة نمو التفكير المنطقي عند طفل ما قبل المدرسة في ضوء الاستعداد العقلي (الذكاء) والمستوى الاجتماعي. ولتحقيق هذا الهدف أجرت الباحثة دراسة تجريبية على عينة ضمت ١٨٠ طفلاً وطفلة تتراوح أعمارهم بين ٥-٦ سنوات ، ٦٠ طفلاً وطفلة أعمارهم بين ٦-٧ سنوات، واستخدمت الباحثة في الدراسة مقياس التفكير المنطقي من إعداد الباحثة، اختبار رسم الرجل، استمارة المستوى الاجتماعي، واستمارة بيانات عن الطفل .

وبعد إجراء الدراسة باستخدام الأدوات السابقة تبين من النتائج: وجود علاقة ارتباطية موجبة بين نمو التفكير المنطقي للطفل ومستوى ذكائه، ووجود علاقة ارتباطية موجبة بين نمو التفكير المنطقي للطفل والمستوى الاجتماعي للأسرة، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المراحل العمرية المختلفة ونمو التفكير المنطقي للطفل وذكائه .

الموسيقى هنا هي مساندة حركة الطفل .

والحركة المقيدة يقوم الطفل فيها بضبط حركاته وفقاً لمعايير معينة تحددها له المعلمة، فقد تكون موسيقى تعزف ينتشر الطفل خلالها في الفراغ وبتوقفها يتوقف الطفل عن الحركة. وقد يتوقف الطفل عن الحركة عند إشارة ضوئية أو لونية معينة .

رابعاً : اللعب الحركي يستخدم جسم الطفل كوسيط تعليمي للتعرف على المكان والزمان، كما يساعده اللعب الحركي على التعرف على مكان التبولوجي[٤]: فوق، تحت، أمام، خلف، بين، على ، قريباً من، بعيداً عن... كما يساعده اللعب الحركي على التسابق بينه وبين زملائه، فيتعرف على ترتيب كل متسابق منهم: الأول- الثاني- الثالث .

خامساً : كما أن ألعاب الحركة والسكون أو ألعاب التماثيل تساعد الطفل على التعرف على بيئته، فهي مؤشرات تعرفه على سبيل المثال بميدان سعد زغلول، ميدان مصطفى كامل، ميدان طلعت حرب .

والواقع أن نشاط الطفل اليدوي جزء لا يتجزأ من نشاطه الحركي، فيداه عضوان في جسمه، ولتوعية الطفل بوظيفة يده وفوائدها له يمارس الطفل ألعاباً فنية وأخرى تسمى أشغالاً يدوية، ومن الألعاب الفنية يتعلم الطفل بعض المهارات الأساسية للمواطن، كالقص واللصق وتشكيل الورق وثني السلك والدوبار والطبع والصباغة والتخطيط والرسم الحر لما يشاهده ويعرفه في بيئته .

وبذلك نجد أن الأدوات واللعب والأجهزة والرحلات والزيارات وسائط تكنولوجية تساعد الطفل على التعرف على بيئته، كما تساعده على التعرف على التكنولوجيا المستخدمة فيها، ومنها أدوات المهنيين وأدوات الطبخ وأدوات التصوير والموسيقى وغيرها .

وتسهم ألعاب الأيدي والأصابع والألعاب القفازية وألعاب خيال الظل في إنماء النظرة المتكاملة للطفل عن بيئته، إذ يقلد خلالها حركات النجار والحداد والطبيب، فيتكيف للسلوك الاجتماعي المطلوب، كما يتعرف على الخامات الموجودة في البيئة. ولا شك أن ألعاب الفك والدمج والتدكيك والتلوين تكمل ألعاب التصويب التي يمارسها الطفل على المستوى الحسي الحركي، فتترابط أعضاؤه الدقيقة والغليظة معاً، فالحركة والألعاب الحركية هي منطلق التكيف الاجتماعي لطفل الروضة في بيئته، ويقصد بذلك تعلم الطفل السلوك المقبول في مجتمعه، وبذلك ينمو ذكاؤه من خلال الإيحاء والتقمص والمحاكاة لأدوار جزئية يرى نماذج منها في مجتمعه، فيتقمص دور الطبيب أو السائق أو المكانيكي أثناء لعبه مع أصحابه. وتتكامل هذه الأدوار من خلال تعدد الممارسات التي يقدمها كل طفل من أطفال المجموعة للشخصية المراد تقديمها .

ولما كانت اللغة هي الوعاء الفكري الذي يحمل المعتقدات والعادات والخبرات من جيل إلى آخر، فإن معلمة الروضة تستخدمها طبقاً لأسس تربوية وعلمية معينة. ومن هذه الطرق :

تنمية إحساس الطفل السمعي لأصوات الطيور والحيوانات وأصوات الإنسان، أو الأصوات التي تصدر عن أفعال الإنسان، مثل الدب بقدميه أو التصفيق بيديه، ثم يتطور اللعب الحر؛ ليصبح لعباً له قواعد، مثل :

١- ألعاب يميز فيها الطفل مصادر الأصوات التي يسمعها .

٢- ألعاب يميز فيها الطفل أنواع الأصوات التي يسمعها .

٣- ألعاب لغوية يتعرف بها على اتجاهات الأصوات التي يسمعها .

٤- ألعاب يستدعي فيها الأصوات من مجرد رؤية أشكال أو صور كائنات تقدم له .

٥- ألعاب يستدعي الطفل كلمات أغنية حفظها من مجرد سماعه لحن الأغنية فقط (إن سألتم عن إلهى ...) .

٦- ألعاب يميز بها الطفل الحالة النفسية لمصدر الصوت (خوف- ذعر- استغاثة) بمعنى أن يتعرف الطفل على معاني الأصوات.

٧- ألعاب لغوية لخيال الظل يتعرف فيها الطفل على الشخصية من وصفها لسماتها أو أعمالها أو خدمتها أو فوائدها في المجتمع. وهذا اللعب ينمي خيال الطفل، فضلاً عن إثراء مفرداته اللغوية .

٨- ألعاب لفظية تتضمن أسئلة وأجوبة عن مضمون ما سمعه الطفل من حديث على الشرائط المسجلة: للأذان أو لبيك اللهم لبيك أو حديث يدور حول بائع ومُشترٍ أو بين طبيب ومريض .

٩- ولا شك أن لعب الطفل بالماء ومحاولته الكشف عن الأشياء التي تطفو على سطح الماء وتلك التي تغوص فيه هي نوع من أشكال

(٤) التبولوجي : يقصد بها الفراغ المحيط بالطفل ، المفاهيم الهندسية (فوق ، تحت ، على ، بين ، حول .. إلخ) .

التجريب العلمي[٥] ، ليكتسب الطفل خلالها قواعد عامة يستطيع أن يعممها، مثل : استخدامه المغناطيس في الكشف عن المعادن أو ألعاب ملء وتفريغ الأواني؛ لاختبار سعتها، أو محاولات الطفل نقل الماء من مكان إلى آخر بطرق مختلفة، كذلك لعبه بقطعة منشور تتيح له التعرف على ألوان الطيف، كما أن ألعاب الضوء والظلال وألعاب المرايا كلها تجريب ولعب علمي يساعد الطفل على اكتشاف أساسيات المعرفة، في دوران الأرض حول الشمس، تغير وضع الشمس في السماء، فضلاً عن دوران القمر حول الأرض .

في ضوء ما تقدم نجد أن إعداد معلمة الروضة لهذه المهام المتعددة التي سبق عرضها يدور حول ثلاثة محاور أساسية :

أولاً : العلم .. حقائقه ومهاراته .

ثانياً : لما كان لكل علم حقائقه ومهاراته فإن لكل علم أيضاً طرقاً خاصة به للبحث عن حقائقه ومهاراته. وهذه المهمة تضطلع بها وحدة المناهج وطرق التدريس والوسائط التكنولوجية التي لها أهميتها؛ إذ إن محتوى التعلم ينمي معلومات الطفل، بينما طرق التدريس هي التي تنمي أنماط تفكير الطفل وتشكله، بما تستخدمه المهارات التدريسية من طرق لتنمية انتباه الطفل وتنمية إدراكه وتصوره وتنمية ذاكرته وطرق تعبيره، فضلاً عن تهذيب خياله وتنمية وجدانه .

ثالثاً : في علم النفس وفروعه المختلفة والنمو التعليمي- الاجتماعي- الفسيولوجي- الفروق الفردية، بالإضافة إلى التربية بفروعها المختلفة (أصول التربية- تاريخ التربية- والتربية المقارنة) تنمي اتجاهات المعلمة الإيجابية نحو العلم ونحو الطفل ونحو المتعلمين من جهة أخرى .

ولهذا ينبغي أن تتوازن الساعات النظرية والساعات التطبيقية لكل من المحاور الثلاثة (علم النفس- المناهج وطرق التدريس والوسائل- والتربية بفروعها) كما ينبغي أيضاً أن تتوازن الساعات النظرية مع ساعات التطبيق العملي لمقررات إعداد معلمات الروضة.

فإذا كانت النظرية تفسر العملية التعليمية للطالبة المعلمة، فإن التطبيقات العملية للإطار النظري تزيد الطالبة المعلمة وعياً بعملها وإيماناً وثقة بأدائها مع الأطفال أثناء التدريب الميداني الأسبوعي .

ونحن نشاهد في لوائح إعداد معلمات الأطفال في مصر والعالم اكتساح مقررات علم النفس وفروعه للساعات المقررة له في لائحة إعداد المعلمات. وقد آن الأوان لتعديل مساره؛ حتى تأخذ وحدة المناهج وطرق التدريس والوسائط التعليمية أهميتها في اللوائح؛ لتضطلع بالمهام الموكولة إليها في عملية إعداد الطالبة المعلمة وتزويدها بمهارات التدريس قبل التدريب الميداني الأسبوعي، وإلا بقيت آفة التلقين سائدة في مدارسنا. ولا يمكن للتلقين أن يكوِّن المواطن المفكر المنتج المبتكر .

والجدير بالذكر أن مناهج وطرق تدريس طفل ما قبل المدرسة لها خصوصيتها، فهي تتطابق مع طبيعة نمو ذكاء طفل الروضة. ولا يمكن بأي حال من الأحوال الاستعاضة عنها بمناهج وطرق تدريس الكبار؛ لأن ذكاء الطفل ذكاء حسي حركي، بينما طبيعة ذكاء الكبار هي ذكاء تأملي[٦] يتجاوز قدرات طفل ما قبل المدرسة .

ويحضرني في هذا الصدد قول بياجيه صاحب النظرية المعرفية التي تفسر العملية التعليمية في المؤسسات التربوية، إذ يقول :"إن المفاهيم والأفكار الأساسية لمحتوى مناهج تعليم الأطفال هي نفسها مفاهيم مناهج إعداد معلمات الروضة، والفروق بينهما تكمن في :

أولاً : مستوى المعرفة، أي مستوى المعلومة التي تقدم لطفل الروضة .

ثانياً : طرق تقديم هذه المعرفة لطفل الروضة .

هذه الطريقة في جوهرها تعتمد على تربية حواس الطفل طبقاً لقوانين وأسس علمية، تتعلمها المعلمة وتدرب عليها أثناء الساعات المخصصة للتطبيقات العملية قبل خروجها للتدريب الميداني الأسبوعي في رياض الأطفال.

(٥) التجريب العلمي : محاولة معرفة خواص الأشياء عن طريق الألعاب التربوية .

(٦) ذكاء تأملي : ذكاء الطفل عن طريق الحواس. أما الكبار فيستخدمون الذكاء المجرد أو التأملي .

عبد الجواد، نجوى سيد.
أثر ممارسة الطفل للأنشطة المنزلية على اكتسابه للمفاهيم المنشطة للذهن. القاهرة، مركز دراسات الطفولة، جامعة عين شمس ١٩٩١.

دراسة قدمت للمؤتمر السنوي الرابع للطفل المصري

(الطفل المصري وتحديات القرن الحادي والعشرين) القاهرة، ٢٧ - ٣٠ إبريل ١٩٩١ .

هدف الدراسة معرفة أثر ممارسة الطفل للأنشطة المنزلية في اكتسابه للمفاهيم التي حددها البحث، وأيضاً معرفة مدى فعالية اكتسابه لهذه المفاهيم على تنشيط ذهنه وتنمية مهارات الانتباه والتحصيل لديه. ولتحقيق هذه الأهداف أجرت الباحثة دراسة على عينة مكونة من ١٠٠ طفلة من أطفال دور الحضانة بمحافظة الفيوم متوسط أعمارهم ٥ سنوات والنصف. وأجريت الدراسة باستخدام مقياس الأنشطة المنزلية، بطاقة المفاهيم المنشطة لذهن الطفل، اختبار الانتباه السمعي البصري للأرقام واختبار التحصيل الرياضي.

وبعد إجراء الدراسة تبين من النتائج: وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أطفال العينة، من حيث ممارسة الأنشطة المنزلية لصالح الأطفال الممارسين للأنشطة المنزلية والأطفال غير الممارسين للأنشطة المنزلية، من حيث النسب المئوية لدرجات الاستجابات الصحيحة لمقاييس المفاهيم / الفراغ/ الأرقام/ الوزن لصالح الأطفال الممارسين للأنشطة المنزلية، ووجدت ارتباطات موجبة ذات دلالة إحصائية بين العناصر الأولية لمفاهيم الفراغ/ الأرقام/ الوزن والدرجات التي حصل عليها الأطفال الذين يمارسون والذين لا يمارسون الأنشطة المنزلية في اختبارات الانتباه والتحصيل .

وفي ضوء هذه النتائج أوصت الدراسة بضرورة الاهتمام بإعداد غرف دور الحضانة إعداداً تربوياً سليماً يتيح فرصاً لممارسة الأنشطة المنشطة لذهن الطفل والمحفزة على البحث والتساؤل، وإعداد برنامج تثقيفي؛ بهدف التوعية بما يجب أن تكون عليه معاملة الأطفال تربوياً في إطار توفير المثيرات الحسية، التي تنشط ذهن الطفل، وتساعده على اكتساب المفاهيم الصحيحة، وأيضاً التوعية بما يجب أن يفعله المربون، حتى لا تحبط القدرات العقلية للطفل .

طفلك .. والذكاء الموسيقي

أ.د. آمال صادق
أستاذ علم النفس التربوي المتفرغ - كلية التربية - جامعة حلوان

الموسيقى هي تلك المنظومة المعرفية الوجدانية الحركية للجمال الصوتي، وهي من أنماط سلوك الجنس البشري، وهي كاللغة خاصية من خصائص الإنسان دون سواه من الكائنات الحية، وهذا يعني أن الإنسان لديه استعداد عام لاكتساب الكفاءات والمهارات الموسيقية، ولا يعوق هذا الاكتساب إلا أسباب خاصة مثل عطب المخ أو نقص الخبرة الملائمة. والموسيقى كاللغة يتم التعبير بها عن الذات والتواصل مع الآخرين. والموسيقى ليست ذات طبيعة لسانية بحتة رغم أن من أنشطتها الغناء، كما أنها ليست لغة إيمائية كاملة على الرغم من أن منها قيادة الأوركسترا والإيقاع الحركي، كما أنها ليست لغة مكتوبة فحسب على الرغم من أن منها التدوين.. إنها كل ذلك وأكثر .

والسلوك الموسيقي يختلف من طفل لآخر، فقد يظهر الطفل تميزاً في استجاباته الموسيقية، وعلى العكس من ذلك، فقد لا يتميز طفل آخر في ذات السلوك، ويوجد أطفال يتميزون بقدر متوسط في سلوكهم الموسيقي. فالموسيقى كغيرها من قدرات الإنسان قدرة مستثمرة لها أبنيتها النيرولوجية، والتي تعد مسئولة عن تجهيز المعلومات الموسيقية وهي بالطبع تمثل الجانب الفطري للسلوك، بينما تلعب البيئة دوراً أساسياً في تيسير الإكتساب والتنمية .

وقد شاع في التراث السيكولوجي بعض المصطلحات الخلافية للدلالة على السلوك المتميز في الموسيقى وتفسيرات لهذه المصطلحات. فقد ميز شوين " Shoen, M." في استخدامه لمصطلح الحساسية الموسيقية "Musicalit" والمقدرة الموسيقية "Musical Talent" فالحساسية الموسيقية ترتبط بالإدراك السمعي، بينما المقدرة الموسيقية تدل على الكفاءة في الأداء الموسيقي. فيمكن أن يتميز الشخص بالحساسية المفرطة والتذوق الموسيقي، إلا أنه لا يستطيع أن يؤدي الأعمال الموسيقية سواء بصوته (الغناء) أو استخدام الآلة أو الآلات الموسيقية (العزف)، ويمكن أن يتميز شخص آخر في قدراته الأدائية دون أن يتميز بالحساسية الموسيقية، وبصفه عامة نرى أن الشخص الموسيقي يجب أن تكون لديه الحساسية الموسيقية والقدرة على الأداء .

وهناك مصطلح آخر يعبر عن الوسع أو السعة "Capacity" وهو يشير إلى الجانب الفطري الموروث من الصفة أو الخاصية أو الوسع الفطري للخاصية أو السمة، بينما يشير مصطلح القدرة "Ability" إلى المهارة المكتسبة في استثمار الوسع الفطري .

وقد شاع في أوائل الأربعينيات من هذا القرن استخدام مصطلح الذكاء الموسيقي ليعبر عن مفهوم القدرة الموسيقية المستثمرة عند ونج "WingH" ، واستخدم أيضاً ذات المصطلح عند جاردنر "Gardener" ١٩٨٣ حيث يرى أنها (أي القدرة الموسيقية) تؤلف نمطاً مميزاً ومستقلاً للذكاء ، ويذكر أدلة غائية ونيرولوجية وثقافية على ذلك .

وفي رأينا أن استخدام مصطلح القدرة الموسيقية العامة هو الأكثر شمولاً وأماناً، إذ يعبر عن القدرة على الاستجابة الموسيقية بأنماطها المتعددة مثل الأداء الآلي والغنائي والاستماع والتحليل والإنتاج دون الدخول في قضية الوراثة والبيئة .

استجابات الأطفال للأصوات :

متى تبدأ استجابات الأطفال للأصوات بصفة عامة؟ وما طبيعة الاستجابات للأصوات الموسيقية ؟

يشير "Greenbery" إلى أن القدرة الإنسانية للاستجابة للأصوات تبدأ من مرحلة مبكرة، حتى وقبل ميلاد الطفل، وإحدى العلامات الملاحظة للجنين هي ضربات القلب والتي تعد استجابة أوتوماتيكية "للموسيقى" حيث تبدأ هذه الضربات اعتباراً من الأسبوع الثالث من الحمل. كذلك يتأثر الجنين بالمثيرات الصوتية التي تحيط به في رحم الأم حتى الميلاد. واعتباراً من الشهر الثالث من الحمل تستجيب معظم الأجنة للأصوات الخارجية بالحركة أو بالتغير في معدل سرعة التنفس، وفي الشهر السادس من الحمل وعندما يصبح الطفل مزوداً بجهازه السمعي والجهاز العصبي المركزي والجهاز الصوتي والتي لاتحتاج جميعها لمزيد من النضج لتبدأ عملها، وقبل الميلاد، يكون الجنين قادراً على الاستجابة للاهتزازات التي تحدث إحساساً سمعياً، وكذلك الاستجابة للاستثارة اللمسية والضغط، والاستجابات الملاحظة تظهر في صورة تقلصات عضلية مثل "الرفس"، واستجابات أخرى للجنين تحدث عند صدور أصوات قوية مفاجئة. وغالباً ما تؤكد الأم الحامل هذه الملاحظة. ومن الطريف أن بعض الأمهات أفادت أنه في مراحل الحمل الأخيرة يستجيب الجنين للموسيقى ذات الإيقاع الواضح وتتحدد استجابة الأجنة بإصدار مزيد من الحركات، كذلك أثبتت إحدى الدراسات أن الجنين استجاب للأصوات ذات

الترددات المتغيرة أكثر من استجابته للأصوات العالية. وبالرغم من هذه الملاحظات فالمجال يحتاج إلى مزيد من البحوث المنظمة وبصفة خاصة بعد تطور الأجهزة الطبية والتي يمكن من خلالها رصد هذه الاستجابات بسهولة وموضوعية .

ومنذ الميلاد مباشرة يستجيب الطفل للأصوات والموسيقى، فقد أكدت الدراسات التي أجريت على الوليد الذي لا يتجاوز عمره أسبوعاً واحداً أن وجود أي صوت يؤدي إلى تهدئة الطفل على نحو أفضل من عدم وجود أي أصوات على الإطلاق، كما تأكد أيضاً أن معظم الأطفال منذ مراحل حياتهم المبكرة يستطيعون التمييز بين الأصوات على أساس خصائصها الفيزيائية، وبصفة خاصة من حيث الدرجة (Pitch) والقوة (Intensity)، وتأكد كذلك أن الدرجات الصوتية ذات التردد المنخفض أكثر إحداثاً للهدوء لدى الطفل في هذه السن المبكرة عن النغمات ذات التردد العالي، أضف إلى ذلك الأثر الواضح لإيقاعية الأصوات، ففي دراسة طريفة قام بها "Decasper & spense" أكد أن الأطفال حديثي الولاده يفضلون الاستماع إلى جمل لفظية تؤدى بسرعة من أمهاتهم، والتي كانت أمهاتهم ترددها أثناء فترة الحمل في الشهور الثلاثة الأخيرة .

وعندما يكمل الطفل الشهر الثالث من العمر يمكنه التمييز بين الصوت البشري وغيره من الأصوات ويفضله على غيره، كذلك يميز الطفل صوت أمه، بل ويميز صوت خطوات المشي لوالديه حينما يقتربان منه، ويبتسم ويصدر استجابات حركية عندما يسمع تسجيلاً لصوتهما .

والطفل يفضل صوت أمه على جميع الأصوات، وأصوات النساء من بين الأصوات البشرية، والأصوات الصادرة عن الآلات الموسيقية عندما تعزف بهدوء، وتتزايد استجاباته الحركية عند الاستماع إلى الأصوات الموسيقية .

وعندما يبلغ الطفل سن ١٤ أسبوعاً تقريباً يميز صوت أمه من بين أي أصوات أخرى ويفضله على أصوات البشر الآخرين، ويرتبط ذلك بالمظاهر الأخرى المرتبطة بمظاهر التعلق والتفاعل بين الأم والطفل، والتي أكدت الدراسات حولها أن أنماط السلوك الاجتماعي للطفل (الصراخ – الابتسام – اتجاه النظر... إلخ) تتحول ابتداء من هذه السن من أن تكون موجهة لأي شخص وتصبح مركزة على الأم، والتي يستطيع أن يميز ملامحها، ويستطيع مع الشهر الخامس تمييز صوتها بالرغم من عدم رؤيتها ، ويعبر عن ذلك بابتسامة .

ومع بلوغ الطفل الشهر السادس يتزايد اهتمام الطفل بالأصوات، ويستمع بانتباه إلى الأصوات وإلى الموسيقى في البيئة المحيطة به، بل إنه يحاول أن يسمع صوت أي شيء يستطيع الوصول إليه، بل ويحاول إصدار أصوات بصوته . وتمثل مرحلة إصدار الأصوات من الأشياء بداية حقيقية للقدرة على الإنتاج ، وترتبط هذه الأصوات وجدانيا وجماليا بالطفل .

وتتزايد الاستجابات الحركية للطفل عند الاستماع إلى الأصوات أو الموسيقى، والطفل يستمع أولاً إلى المصدر الصوتي لفترة زمنية قصيرة قد لاتتجاوز ٢٠ ثانية، ثم يبدأ بالحركة مع الأصوات، والحركات التي يصدرها تكون كلية وليست صادرة عن أجزاء من الجسم، وبالرغم من انتظام هذه الحركات فإنها لاتساير الوحدة الموسيقية، ومسايرة الوحدة الموسيقية لا تظهر إلا ببلوغ الطفل عامه

الثاني من العمر، كذلك يرتبط اهتمام الطفل بالأصوات والموسيقى أيضاً بالكلمات التي تصدر عن الكبار، بل ويحاول الطفل إصدار بعض المقاطع اللفظية والتي ترتبط بالأم ومن يحيطون به «ماما أو دادا أو بابا أو باي باي»، ومع زيادة الاهتمام بإصدار الأصوات سواء من الطفل ذاته أو الأشياء التي يصل إليها أو من الأشياء المحيطة، تزداد استجاباته غرضية سواء في تفاعله الاجتماعي مع الآخرين وجذب انتباههم إليه، أو باللعب بالأصوات وإصدار الأصوات أو الاستماع إلى الأصوات والموسيقى مثل الراديو أو الكاسيت أو التليفزيون فيلتفت بانتباه لها ويسعى إليها بدلاً من استجابته السلبية لها في المراحل السابقة من العمر، فهو يبحث عنها ليستمع منها إلى: شيء" ولكن لفترة قصيرة لا تزيد على بضع دقائق (٢-٣ دقائق على الأكثر) ثم يعود مرة ثانية مكرراً محاولاته. ويفضل معظم الأطفال الاستماع إلى الأغنيات وإلى الكلام ذي الإيقاع الواضح أكثر من اهتمامهم الاستماع إلى الموسيقى فقط، وغالباً ما يصاحب ذلك بعض الحركات المصاحبة. وكلما ازدادت قدرة الطفل على الحركة والمشى كلما تزايدت خبراته بتفاعله مع البيئة . وترتبط الأصوات بالأشياء بأسمائها وأشكالها، وتتحدد هذه المثيرات بأسمائها ببلوغ الطفل عامه الثالث تقريباً ، وكلما زادت استثارة البيئة المحيطة بالطفل ، كلما استثمرت قدراته بشكل أفضل .

ومع تزايد العمر تزداد حركات الطفل المصاحبة للموسيقى تآزراً لفترات قصيرة أولاً ثم تزداد طولاً مع نمو الطفل، كذلك يزداد نمو ربط الموسيقى بالكلام بين العام الثالث والرابع وترتبط بمواقف اللعب الخيالي الإيهامى، وهي المواقف التي تغلب على مرحلة ما قبل المدرسة، ويلعب الغناء بصفة خاصة دوراً مهماً في هذا اللون من اللعب، كذلك تتزايد لدى الطفل الرغبة في الجلوس والاستماع إلى الموسيقى بانتباه بدلاً من مجرد إصدار حركات إيقاعية تلقائية لها .

ولما كانت الأغنيات من المصادر الأساسية التي تؤدي إلى سروره منذ الميلاد والذي يبدأ بالاستماع إلى غناء الكبار له وبصفة خاصة أمه، فإن الغناء يصبح من أنشطته التلقائية المحببة إلى نفسه والتي تعبر عن رضا الطفل. والغناء كأي سلوك آخر قابل للتعلم، والأطفال يختلفون في قدرتهم على الغناء وتعلم الغناء، وبعضهم يستطيع الغناء وإخراج الأصوات بدقة من حيث الدرجة والزمن، ويستطيع تقليد المثيرات بسهولة ويسر، بينما نجد أطفالاً آخرين لديهم صعوبة في ذلك، ونلاحظ أن بعض الأطفال يستطيعون الغناء بمفردهم، والبعض الآخر لا يستطيع أن يغني إلا مع أحد آخر أو في وسط مجموعة، وهكذا نجد اختلافاً كبيراً في قدرات الأطفال على الغناء، وأن مدى الفروق بالطبع يعتمد على البيئة المحيطة بهؤلاء الأطفال .

وأغنيات الأطفال تتضمن "الأناشيد" و"الأغنيات"، فالأناشيد تتكون من كلمات بسيطة أو في بعض الأحيان من كلمات أو مقاطع عديمة المعنى يرددها الصغار على نغمة أو اثنتين أو ثلاث على الأكثر، وتدور حول ما يراه الطفل أو يسمعه في بيئته المحيطة، كذلك يلاحظ أن الأطفال يرددون ما يقوله الكبار كالصدى "echo"، وبذلك يمكن أن يطلق عليها أغانٍ صدوية، وتتكون من جملة واحدة يكررها الأطفال بعد الكبار مرات ومرات وكأنهم يتدربون على ما يقوله الكبار من تعليمات أو أسئلة. ويلاحظ أن ألحان هذه الأغنيات "المرتجلة" من الأطفال تكون بسيطة للغاية. وهناك نوع ثالث من الأغنيات والأناشيد، وهي تلك الفئة التي يتعلمها الأطفال من الكبار بطريقة مقصورة أو غير مقصورة من وسائل الإعلام .

وقد حظي غناء الأطفال باهتمام كبير عن غيره في ميدان النمو الموسيقي، لأنه الطابع الغالب على موسيقى الطفل. فقد أجريت العديد من الدراسات ولعل من أهمها دراسة "Werner 1961" والذي أجرى دراساته على الأطفال في إطار نظريته في النمو التي تعتمد على المبدأ التكويني الذي يتضمن أن النمو التدريجي يتزايد من خلال الانتقال المنتظم من التكامل إلى التمايز أو من المجمل إلى المفصل، وهو مبدأ هام من مبادئ النمو (آمال صادق- فؤاد أبو حطب ١٩٨٧، ١٩٩٦)، فقد أكدت دراساته أن الألحان التلقائية التي ينتجها الأطفال من سن ٢-٥ سنوات تسير وفق هذا الاتجاه. فمع بداية هذه المرحلة تبدأ هذه الألحان عامة مجملة غير متمايزة ؛ حيث النغمات التي تؤلف اللحن لا يربطها تتابع منتظم، وبعد ذلك يظهر الأطفال الأكبر سناً التمايز والتفصيل ثم التكامل على نمو أكثر تنظيماً، حيث يكون اللحن الأساسي للأغنية أكثر وضوحاً، وتصبح الألحان مؤلفة من جمل عديدة منتظمة في شكل أقرب إلى الموسيقى "المقامية" ذات الأساس الواضح، وبهذا يظهر في الموسيقى بداية ما يشبه وما يسمى في النمو اللغوي "النمو الموجب"، وهو تحول في سلوك الطفل من المشروع "المتنوع المتعدد الأوجه" إلى "تجهيز المعلومات" أي التحول من الإطار العام للحن إلى السمات الأكثر دقة. (آمال صادق ١٩٨٨) وعندما يصل الطفل إلى سن الخامسة تتوافر له ذخيرة من أغاني الأطفال المعيارية والتي تشيع في ثقافته والتي تسمى عادة أغاني "الحضانة"، وبالطبع يمكن أن يتعرف عليها بسهولة أكبر من تعرفه على المواد الموسيقية الأخرى. وإذا طلب من الطفل استدعاء هذه الأغنيات (والاستدعاء نوع من الإنتاج) فإنه ينتج الكلمات أولاً ثم الإيقاع ثم الإطار العام للأغنية ثم الإنتاج الدقيق لها، ويطرأ تحسن مستمر على الأداء مع التقدم في العمر حتى يصل إلى درجة من الاستقرار في مرحلة الطفولة المتأخرة (مرحلة المدرسة الابتدائية)، ومع النمو الغنائي للطفل تزداد الأغنية التي ينتجها خصوبة في تفاصيلها .

وهكذا نجد أنه مع وصول الطفل إلى سن المدرسة الابتدائية تتوافر لديه الكثير من المهارات الموسيقية الأساسية اللازمة للإدراك والأداء الموسيقي، وبالطبع يلعب التوجيه والتعليم والرعاية دوره الحاسم في استثمار هذه المهارات .

وبعد أن حددنا المعالم الأساسية للنمو الموسيقي للطفل، ولاحظنا أن الطفل يقوم بدور إيجابي عند الاستماع إلى الموسيقى أو إنتاج أعمال موسيقية فهل يستطيع الطفل أن يكون مبدعًا، وهل لإبداعات الطفل الموسيقية قيمة ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال هي بالإيجاب، فالطفل يمكنه إنتاج أعمال "موسيقية" لها قيمة في ذاتها طالما أن هذا العمل المُنْتَج فعل

يتصف بالجدة ، فالطفل الذي ينتج بيتاً من المكعبات الملونة يوصف بأنه مبتكر حتى ولو أنتج أطفال آخرون نفس الشيء، أما الطفل الذي يحاكي بيتاً صفه طفل آخر أو يقلد نموذجاً مرسوماً لبيت على الورق فإنه انتاجة لا يوصف بالابتكار، وهكذا الحال بالنسبة إلى الإنتاج في مجال الموسيقى .

والاهتمام بالابتكار الموسيقي المبكر لا يرجع إلى الخصائص الفنية والجمالية للمنتج الموسيقي في حد ذاته على الرغم من أن بعض الأطفال قد ينتجون أعمالاً موسيقية فنية قد تتصف بقدر وافر من الجمالية، إلا أن ما يهمنا من الوجهة التربوية ما يعود على الطفل نفسه من خلال نشاطه الابتكاري ذاته، وفي هذا الصدد نذكر ما يلي (آمال صادق – أميمه أمين ١٩٨٥) :

١- يشجع الابتكار الموسيقي الطفل على التعبير عن ذاته، فعند محاولة الابتكار يعتمد الطفل على أفكاره الموسيقية ويعالجها بإحدى صيغ الفن بطريقته الشخصية الخاصة. وهذه المعالجة تعد في ذاتها إثراءً لحياة الطفل، لأن الموسيقى في هذه الحالة لا تتضمن محض تعلم إعادة إنتاج ما ابتكره الآخرون سواء بالاستماع أو الغناء أو العزف، وإنما أيضاً تتضمن تعلم تنظيم العالم الصوتي بطريقة تحقق للطفل اشباعاً ذاتياً .

٢- يزيد الابتكار الموسيقي من قيمة الموسيقى في نظر الطفل، فما ينتجة يعد أكثر تقبلا لديه من غيره، فأغنية "عيد الميلاد" التي ينتجها الطفل لها قيمة ومعنى عنده أكثر من أي أغنية أخرى شائعة حول نفس الموضوع، لأن الإنتاج الموسيقي في هذه الحالة يعتبر شيئاً يميز الطفل ويخصه هو، مما يؤدي إلى تحسين صورة الذات ومفهوم الذات عنده، بحيث يشعر بأنه على درجة من الإنتاجية والكفاية .

٣- يؤدي الابتكار الموسيقي إلى تحسين التعلم الموسيقي ذاته، فعندما يبتكر الطفل عملاً موسيقياً، سواء كان صغيراً أو كبيراً، فإن هذا يعني أن ذهنه يكون مشغولاً بتناول الأصوات ومعالجتها وطرق تنظيمها على أفضل نمو للتعبير عن أفكاره. ومعنى هذا أن الأطفال حين يحاولون الابتكار في مجال

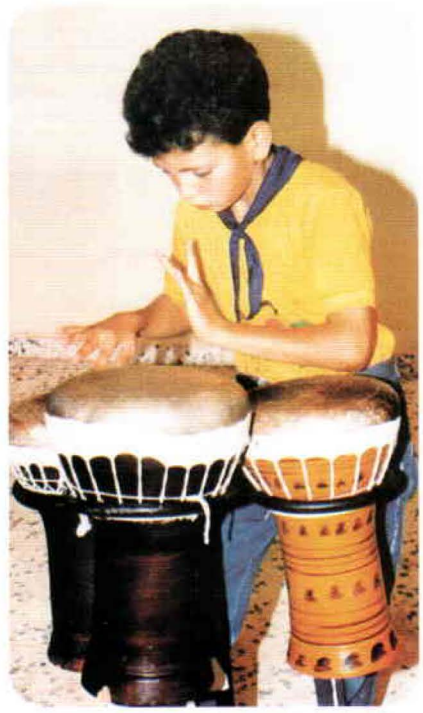

الموسيقى فإنهم يفكرون عن قصد في الأصوات وتنظيمها، وهذا في ذاته هو جوهر التعلم الموسيقي، ويزداد اهتمامهم في هذه الحالة، عنه حينما يكون عليهم تعلم ما قام غيرهم بتأليفه أو عزفه .

وابتكارات الأطفال الموسيقية تأخذ أنماطاً متعددة، ومن هذه الأنماط الغناء التلقائي ويظهر عند الأطفال في مختلف مراحل العمر، حتى في المراحل المبكرة للغاية، فالطفل حين يلعب وحده قد يُسْمَع وهو "يدندن" لنفسه أو يغني في هدوء. وعادة ما تكون دندنته أو همهمته أو غناؤه في صورة مقاطع أو كلمات من ابتكاره، وبالطبع فإن هذا الغناء التلقائي هو نوع من الغناء المرتجل وهو عمل ابتكاري طبيعي يجب تشجيعه في الطفل .

ويوجد نمط آخر من أنماط ابتكارات الأطفال تعتمد على رغبة طبيعية عند الطفل في استكشاف واستطلاع البيئة المحيطة به وما تتألف من عناصر، وعلى الكبار المحيطين بالطفل تشجيع هذه الرغبة فيهم حتى يتعرفوا على إمكانات إنتاج الأصوات، كما يمكنهم تشجيعهم على اختراع الألعاب التي يمكن إصدار الأصوات منها، بل إن الطفل عليه أن يكتشف أن لكل شيء حوله صوتاً يميزه ، فهذا صوت ناتج عن شيء خشبي أو معدني أو زجاجي، وهذا صوت اهتزاز من أوراق الشجر، وهذا صوت المطر، وهذا طرق على الأبواب، وهذه تصفيقة أصدرها طفل آخر.. وهكذا.. بل قد يطلب طفل من طفل آخر أن يحدد مصدر الصوت الذي صدر دون رؤية مصدره، كما يمكن تصميم ألعاب مماثلة يصدرون فيها الأصوات بأجزاء الجسم كالتصفيق بالأيدي، وخبط الأرض، وفرقعة الأصابع، والصفير... وغيرها من الأصوات التي يمكن للأطفال إصدارها، وحينما يتقدم الطفل في العمر، ويأخذ التعليم الموسيقي شكلاً رسمياً يجب على المعلم أن يستثير ويشجع الاستجابات الموسيقية الإنتاجية لدى الطفل فيطلب من الطفل إكمال جمل إيقاعية بجملة أخرى في صورة تصفيق أو نقر، وقد يقوم طفل وطفل آخر بمحادثة "إيقاعية" أي يبدأ الطفل الأول، ثم يرد الطفل الثاني وهكذا.. ويحقق مثل هذا النوع من الألعاب الحفاظ على استمرار الإيقاع، وقد يشارك أكثر من طفل في هذه اللعبة، ويمكن أن تصبح اللعبه أكثر تعقيداً إذا اشتمل الموقف على مجموعة من الأطفال لكلٍّ دوره، وتصبح أكثر صعوبة عندما يطلب عدم تكرار أي نموذج سبق أداؤه من طفل آخر .

وتهيئ الأنشطة الابتكارية للطفل فرصة للتعرف عن ذاته والتعرف على ما يستطيع الآخرون أداءه، كذلك تعطى للطفل فرصة لفهم ما يقوم به مؤلفو الموسيقى وتقدير الجهود المبذولة في التأليف الموسيقي، كما تشجع الأطفال على تنمية قدراتهم الابتكارية، وتعين آباءهم ومعلميهم على اكتشاف المواهب فيهم، بالإضافة إلى دورها في تعزيز التعلم الموسيقي المعتاد وتوسيع نطاق المفاهيم والمهارات الموسيقية لدى الأطفال على نحو يستثير دوافعهم للتعلم .

وبعد... من استعراضنا السابق لاستجابات الطفل للأصوات بصفة عامة وللأصوات الموسيقية بصفة خاصة ، سواء كان ذلك في المستوى الحسي البسيط، ثم مستوى الإدراك السمعي والتمييز بين المثيرات الموسيقية، ثم المستوى التذوقي ثم المستوى الإنتاجي الابتكاري يمكن القول إنه من خلال ممارسة الأنشطة الموسيقية المتعددة أنها تهم

في تحقيق النمو المتكامل المتوازن لشخصية الطفل من خلال مصدر محبب إليه، فهي تزوده بمعلومات وحقائق ومهارات وميول جمالية واتجاهات فنية، بالإضافة إلى أن النشاط الموسيقي يمكن أن يهيئ الوسائل التي يتحقق بها تعلم المفاهيم المختلفة من خلال تكاملها مع الأنشطة الأخرى، حينما يهيئ لهذا كله جو المتعة والسرور إذا اقترنت به، لما لها من تأثير إيجابي على الطفل، سواء كان من الأطفال العاديين أو الفائقين أو المعاقين، وعلى ذلك يصبح من الضروري إثراء البيئة المحيطة بالطفل بالمثيرات الموسيقية، وإتاحة وتشجيع الأنشطة الموسيقية التي يقوم بها الطفل، سواء في بيئة المنزل أو الروضة حين يتاح الذهاب إليها، ويقع على الآباء والمربين والمعلمين اكتشاف الموهوبين والمبدعين من الأطفال وتوجيه استجاباتهم الموسيقية. وفيما يلي بعض المؤشرات التي تساعد على اكتشاف الأطفال الموهوبين والمبدعين في الموسيقى، وهم تلك الفئة من ذوي القدرات الموسيقية الفائقة، والذين يتميزون على أقرانهم في أدائهم الموسيقى ويستمرون في هذا النشاط، بشرط أن يكون هذا النشاط ذا قيمة اجتماعية مقبولة من الآخرين. وقد حدد رينزولي وزملاؤه سنة ١٩٧٨ طريقة للكشف عن الموهوبين موسيقياً من خلال مقياس تقدير لتحديد الخصائص السلوكية لهم والتي تتمثل في الآتي : (آمال صادق ١٩٩٩) :

أ- يظهر الطفل اهتماماً مستمراً بالموسيقى، ويسعى للاستماع إليها والإبداع فيها .

ب- يدرك الفروق الدقيقة للصوت الموسيقي من حيث الدرجة "Pitch"، القوة Liudness ، الزمن Duration ، النوعية Timbre .

جـ- يتذكر بسهولة النغمات والألحان، ويمكن إعادتها بدقة .

د- يشارك بحماس في الأنشطة الموسيقية.

هـ- يعزف على آلة موسيقية (أو يظهر رغبة شديدة في ذلك) .

و- لديه حساسية للإيقاعات الموسيقية، ويستجيب لها استجابات حركية، وتتغير هذه الاستجابات عندما تتغير هذه الإيقاعات أو تتغير سرعة عرضها .

ز- يمكن التعرف على الأحداث التي عرضت في زمن معين - حساس للأصوات غير الموسيقية .

وبالطبع يوجد في التراث السيكولوجي الموسيقي العديد من الاختبارات والتي يمكن الاستعانة بها للكشف عن هذه الفئة المتميزة والتي ترتبط بالمستويات المختلفة من القدرة والتي يتطلب تطبيقها وجود متخصص في مجال علم النفس والموسيقى لتطبيقها وتصحيحها واستخدامها في مجال التوجيه والإرشاد التعليمي .

أما عن برامج الرعاية التي يجب أن تقدم للطفل بصفة عامة في مجال الموسيقى، فيمكن تقسيمها إلى تلك التي تقدم بواسطة الآباء وتبدأ بميلاد الطفل، وتلك التي تقدم بواسطة إخصائيين في مؤسسات رعاية الطفولة (دور الحضانة ورياض الأطفال) والتي تهدف قيمتها إلى تربية حاسة السمع والتذوق الموسيقى، وبالطبع فإن تلك الرعاية، وبصفه خاصة، التي تقدم من خلال الأسرة ستتأثر بدرجة كبيرة بالمستويات الثقافية والاجتماعية وأساليب الرعاية التي تقدم للطفل، وتتطلب هذه الرعاية تقديم المثيرات المختلفة التي يمكن للطفل من خلالها تنمية حواسة المختلفة وبصفة خاصة حاسة السمع، وأيضاً إعطاء الفرصة للطفل أن يجرب إصدار أصوات جديدة مما هو متاح في البيئة المنزلية، وبذلك يمكن اعتبار هذه البيئة مصدراً هاماً لتنمية قدراته الموسيقية

والتي تنبع من التلقائية والحرية في هذه البيئة ويمكن القول أيضاً إن الطفل من خلال اللعب والحركة يكتشف أن كل مثير حوله يصدر صوتاً وأن الأصوات الصادرة من هذه الأشياء قد تتشابه في بعض الخصائص وقد تختلف اختلافاً كبيراً ، فيكتشف خصائص الصوت والفرق- على سبيل المثال - بين الصوت العالي والمنخفض، والحركة المنتظمة وغير المنتظمة، والتدرج في السرعة والبطء، وغير ذلك من المفاهيم التي يمكن تكوينها أثناء لعبه. ومهمة الآباء في هذا المستوى من الاستثارة هي إتاحة المصادر وإبداء الرضا عن لعب الطفل وما يتوصل له من نتائج، بل وتشجيع استجابات الطفل التي تتسم بالجودة؛ من أجل تحقيق الهدف من التربية الحسية السمعية.

أما عن الخبرات الموسيقية التي تقدم للطفل في مؤسسات رعاية الطفل (دور الحضانة ورياض الأطفال) فيجب التأكيد على أنه يجب تنظيم مواقف التعلم التي ترتبط بتقديم الخبرات الموسيقية، وكذلك البيئة التعليمية التي ستقدم فيها هذه الخبرات، كذلك الأجهزة والأدوات اللازمة لتقديم هذه الخبرات. ولا يتطلب ذلك بالضرورة تجهيزات باهظة التكاليف ، ولكن يشترط استخدامها بكفاءة. ويجب أن تكون هذه الأدوات متاحة للطفل؛ ليجرب من خلالها ويتعرف خصائص الأصوات الصادرة عنها .

وبصفة عامة يمكن القول إن البيئة التعليمية الموسيقية هي جزء من البيئة الجمالية العامة بشقيها البصرى والسمعي، ويجب أن تكون بيئة ميسرة يمكن من خلالها اكتساب المفاهيم الموسيقية والنمو الموسيقي للطفل .

أما عن مقدم الخبرة فيجب أن يتوافر فيه خصائص تساعده لأن يكون النموذج الذي يقدم الخبرة للطفل بكفاءة عالية، سواء في الأداء بصوته أو عند استخدام الأدوات، ملما بخصائص الطفل وطرق التعامل معه حتى تصبح الخبرة المقدمة منه مصدراً محبباً مشبعاً للطفل، فالهدف الأسمى هو استثمار طاقات الطفل وتهيئته لحياة أفضل .

علاقة ذكاء الأطفال برسومهم

أ.د. عبلة حنفي عثمان
أستاذ سيكولوجية الفن وعميد
كلية التربية الفنية – جامعة حلوان

يحلم الآباء بما سيكون عليه مستقبل أبنائهم. ولا يعكر صفو هذا الحلم إلا الخوف أن يكون مستوى ذكاء أبنائهم أقل من اللازم، فلا يتناسب مع ما يتطلبه هذا العصر من مستويات عالية من الذكاء والتفكير الرمزي المجرد، حتى يتسنى لأبنائهم المشاركة الإيجابية الفعالة في الأنشطة الخلاقة لعالم اليوم. فالذكاء أحد الإمكانات العقلية الجوهرية للارتقاء العقلي الإنساني. ولهذا قامت دراسات كثيرة عن الذكاء ودوره في الحياة، وركزت هذه الدراسات على ثلاثة أسئلة أساسية، وهي :

١- هل الذكاء قدرة عامة، أم أنه يتكون من عدد من القدرات المستقلة نسبياً ؟

٢- هل يمكن قياس الذكاء وتقديره بشكل مباشر، أم أنه لا يستدل عليه إلا في ضوء الأداء الفعلي؟ سواء كان ذلك أثناء مواقف الحياة اليومية، أو من خلال اختبارات الذكاء ؟

٣- ما هي إمكانية تعديل الذكاء؟ فهل يقوم على عوامل وراثية؟ أم أنه يعتمد على خبرات متعلمة ومكتسبة من البيئة بما تحتويه من درجات متباينة من التنبيه والإثارة؟

وسنتطرق في هذا المقال إلى السؤالين الأخيرين؛ لارتباطهما بموضوع مقالنا. فهل يمكن الاستدلال على مستوى ذكاء الطفل من خلال رسومه أو أنشطته الفنية؟ وهل تساعد الممارسات الفنية الإبداعية على إثراء خبراتهم العقلية؟

ما هيه الذكاء :

يتلخص مفهوم الذكاء عند العامة بأنه مرادف لمفهوم النباهة وبعد النظر واليقظة لما يدور حول الفرد، أي تبصره بعواقب الأمور وقدرته على تحقيق أهدافه .

أما علماء النفس فقد اختلفوا فيما بينهم في تعريفهم للذكاء، فنرى نفراً منهم عرفه بأنه القدرة على التكيف والمرونة العقلية تجاه المواقف والمشكلات، أي قدرة الفرد على تغيير

سلوكه والتفاعل الإيجابي مع البيئة، وتنظيم أنماط سلوكه المألوفة؛ لمجابهة مواقف جديدة. فالفرد الذكي هو القادر على تنويع أنماط سلوكية تبعاً لتغير الظروف .

ويرى نفر آخر بأنه القدرة على التعلم، واكتساب شتى ألوان المعرفة، والاستفادة منها في تعلم حلول المشكلات والأنشطة الجديدة، فالذكاء يعني القدرة على تعلم كيفية مواجهة الوضعيات والمواقف المستحدثة باستجابات جديدة. كما ينظر إليه البعض على أنه يمثل بعداً إدراكياً من الحياة العقلية. فالأذكياء أكفأ في أداء المهمات التي تنطوي على الفهم الاستيعابي باستنباط علاقات جديدة بناء على ما هو قائم بالفعل .

ويتجه نفر ثالث إلى تعريف الذكاء على أنه التفكير المجرد، ويعني القدرة على استعمال المفاهيم والرموز، أي التفكير في المشكلات التي تتطلب الرموز اللغوية والعددية، والتي تكون مجردة من مدلولاتها الحسية. ويشمل هذا النمط من الذكاء قدرة الفرد على التعميم والبراعة في ممارسة التفكير النظري. فكلما زاد ذكاء الفرد زادت قدرته على التعامل مع الرموز الأكثر تعقيداً .

قياس الذكاء :

واتجه الباحثون إلى قياس الذكاء من خلال مجموعة من المواد المجردة أو العينية، ومن خلال بعض العمليات العقلية العليا، كالتفكير والتذكر والفهم والحكم والاستدلال والقدرة اللغوية والسرعة الإدراكية والقدرة الفراغية والمكانية والقدرة العددية والقدرة التخيلية. فالذكاء لا يمكن الاستدلال عليه إلا من خلال بعض المظاهر المحسوسة، مثلما يحدث عند رغبتنا في الاستدلال على وجود التيار الكهربي من عدمه. وهناك أسلوبان أساسيان لقياس الذكاء، وهما :

١- **الأساليب اللفظية** : ويتم من خلالها تقدير ذكاء الشخص من خلال استجابات الفرد اللفظية، ومهاراته اللغوية. ومن بين هذه الاختبارات (أسئلة الفهم- المعلومات العامة- أسئلة الحساب والأرقام- فهم معاني الكلمات والمترادفات- ترتيب الجمل.... إلخ). ويعاب على هذا النوع من الاختبارات تأثره وتشبعه بالعوامل الثقافية وبقدرة الفرد اللغوية. ومن ثم فهو لا يصلح لأطفال ما قبل الرابعة الذين لا

يحسنون فهم اللغة، أو الأفراد الصم وضعاف السمع، أو الأفراد الأجانب .

ورغم أن الأساليب اللغوية تعد من أنسب الوسائل لقياس مستوى ذكاء الفرد وارتقائه العقلي؛ لتميزها بثراء لا حد له، فإنها ليست الوسيلة الوحيدة المستخدمة في قياس مستوى ذكاء الفرد وارتقائه العقلي. فهناك أساليب أخرى كثيرة، وهي الأساليب الأدائية .

٢- **الأساليب الأدائية**: ويتم تقدير الذكاء فيها عن طريق الاستجابة لمشكلات تتطلب أداءً حسياً أو حركياً، ولا يتطلب هذا الأداء أي نوع من المهارات اللغوية. ومن هذه الاختبارات (إدراك أوجه التشابه والاختلاف بين الأشكال- اللعب بالمكعبات- تكميل الصور أو ترتيبها- تجميع الأشكال وتصنيفها حسب نظام معين- الخروج من المتاهات- اكتشاف الأخطاء في الصورة- لوحات الأشكال الخشبية- اختبارات الاستنسل- مفاهيم الفراغ والموضوع- اختبارات الفك والتركيب- اختبارات الرسم).

ويمكن في هذه الاختبارات إنجاز الاستجابات المطلوبة رغم غيبة القدرات اللغوية، والاستعاضة عنها بأبسط أشكال التعبير، مثل حركة العين أو الإيماء بالرأس، أو الرسم، وعندما بُدئ في استخدام الاختبارات غير اللفظية لقياس الذكاء، كان الهدف التخلص من تشبع اللغة بالعوامل الحضارية والثقافية النوعية، ولكن هذا لا يعني خلو الاختبارات الأدائية تماماً من الدلالات الحضارية.

ذكاء الأطفال ورسومهم :

ومن هذا المنطلق نظر البعض إلى رسوم الأطفال وأنشطتهم الفنية على أنها أحد المداخل الأدائية لقياس الذكاء. فالرسم لغة تعبيرية يستخدمها الطفل للتواصل والتفاهم مع غيره. فالقدرة التعبيرية لدى الإنسان لا تقتصر على استخدام اللغة المنطوقة والمكتوبة فقط، وإنما تمتد لتشمل أساليب تعبيرية أخرى كثيرة .

فرسوم الأطفال أحد أشكال البناء النفسي في المجال المعرفي والعقلي والمزاجي والوجداني. فهي ليست مجرد تخطيطات عديمة المعنى، بل تعني الكثير للطفل، أو لمن يهتم بشئونه. فالطفل يستنطق من خلال رسومه كل ما يعتريه من آمال ومخاوف وأفكار ومفاهيم، ولذلك لا يكون اهتمامنا برسوم الأطفال منصباً دائماً على النواحي الجمالية، وإنما يتسع ليكشف عن أواصر الصلة بين خصائص نموهم الفني وجوانب النمو الأخرى؛ للوقوف على طبيعة هذه الصلة وخصائصها ومضامينها السيكولوجية .

مراحل ارتقاء فن الطفل :

يبدأ الطفل مراحله التعبيرية الأولى للتعبير عن نفسه تشكيلياً عندما يتمكن من الإمساك بالقلم مع بداية السنة الثانية، ويشرع في أول الأمر في خط تخطيطات تحكمها العشوائية كنتيجة لطاقة غير موجهة، ثم يرتقي الطفل إلى مرحلة تخطيطية أخرى، ولكنها أكثر تحكماً من سابقتها، ويطلق عليها مرحلة "التخطيطات المنظمة"، وهي أكثر تنوعاً،

بريد القراء

وصلتنا خلال الفترة الماضية تساؤلات عدة حول تأخر صدور المجلة ، ورغم ما كان لدينا من مبررات إلا إننا كنا في غاية الحزن بقدر ما كانت سعادتنا بأن «خطوة» قد أوجدت لها جمهوراً عريضاً بين الأوساط المعنية على المستوى العربي.

وإذا كان هذا العدد لا يتسع للرد على كل هؤلاء الذين أرسلوا لنا ، إلا أننا نعد باللقاء بكم واستعراض آرائكم وملاحظاتكم وتساؤلاتكم من خلال باب بريد القراء، اعتباراً من العدد المقبل بمشيئة الله .

فبعضها حلزوني، والآخر بندولي أو متشابك .

ثم ينتقل إلى مرحلة تخطيطية ثالثة، يحول فيها خطوطه إلى مساحات مغلقة يطلق عليها الطفل بعض المسميات، وتعرف باسم رحلة "التخطيطات المسماة". ولا يمكن التعرف في هذه المرحلة على رموز الطفل المرسومة إلا من خلال مسمياته. وقد تكون مسمياته سابقة للرسم أو لاحقة له بناء على تكشفه لأوجه التشابه بينها وبين بعض الأشياء التي يراها ويلمسها ويسمعها ويشمها ويتذوقها، أو يتحدث عنها في حياته اليومية، فالدائرة تصلح لأن تكون شمساً، أو برتقالة، أو وجه إنسان، أو كرة .

وينتقل الطفل إلى مرحلة أخرى تبدأ مع بداية الرابعة بناء على تقدمه وزيادة نضجه العقلي والجسماني والانفعالي، ويطلق عليها "مرحلة ما قبل الرمز". ويحمل الطفل في هذه المرحلة رموزه الفنية ببعض الخبرات البصرية التي كانت لا تزال مفقودة في المراحل السابقة، ولكنها رموز مبهمة وساذجة وكلية، فهو يهمل الجزئيات؛ لأنه يراها غير ذات قيمة. فقد يلخص الشكل الإنساني في دائرة تمثل الرأس، وبداخلها دائرتان صغيرتان تمثلان العينين، ثم يخرج منها الأطراف، وبخاصة الأرجل. وقد يلغي الطفل الجذع؛ لعدم إدراكه لأهميته .

ويعد الشكل الإنساني من أحب وأول الأشكال التي يبدأ بالتعبير عنها، ولا تتسم رموز الطفل في هذه المرحلة بالثبات، وإنما تتسم بالتغير السريع. وفي سن السادسة يبدأ الطفل في إبراز بعض التفاصيل التي كان يهملها في المراحل السابقة، مثل تفاصيل الوجه وتعبيراته وتفاصيل الملابس والشعر... إلخ. وبعد سن التاسعة يبدأ الطفل في زيادة هذه التفاصيل والاتجاه نحو شيء من الواقعية التي تتضح بصورة أكبر مع بداية مرحلة المراهقة .

فالبناء المعرفي للطفل يبدأ إجمالياً، ثم يتدرج نحو التفاصيل وإدراك أوجه التشابه أو التمايز بين الأشكال ، فيصبح قادراً على تصنيفها وترتيبها. فهو يبدأ بتنظيم المفاهيم البسيطة في أنماط كلية ، ثم يتبعها بأنماط تفصيلية، حيث يبدأ برسم الرأس ، ثم تفاصيله، ثم الأطراف ، ثم الجسم وتفاصيله.

ومن هنا يتضح بأن الجانب الإجرائي لرسومه يسير في نظام متتابع ومرتبط بالمرحلة العمرية.

رسوم الأطفال وبناؤهم المعرفي :

والحقيقة أن رسوم الأطفال تبنى على مخططات أو موجزات شكلية Schema يوجزون من خلالها فكرتهم عما يرسمونه. وهذه الموجزات تمثل بنية عقلية أو نظاماً عاماً يساعد الطفل في التعبير عن معلوماته ومعارفه فيما يمثله من رسوم. فهذه المخططات أو الموجزات الشكلية ناتجة عن تفاعل الطفل الدائم مع ما يراه، أو يدركه بحواسه المختلفة.

ولا يحتاج الطفل أن يسجل في موجزاته كل التفاصيل الواقعية، وإنما يكتفي بالتفاصيل الجوهرية لها. ومخططات الطفل انتقائية، ويقوم مبدأ الانتقائية لديه بناء على أهداف عملية التمثيل لديه، وبناء عليه فهو لا يضع كل التفاصيل التي تتعلق بأصل الشيء المرسوم .

فالتمثيل هو العملية التي تصبح من خلالها المعلومات والمعرفة الخارجية في متناول العقل، والتي تتكون من الصور العقلية Image التي يفكر الطفل من خلالها أو حولها، فأثناء عملية التمثيل يستدعي الطفل صوره العقلية السابق تخزينها في مخزن الذاكرة. فالطفل لا يقوم في رسومه بالتعبير الفوتوغرافي عن مدركاته، أو حتى عن صوره العقلية، بل يعنى في رسومه بإعادة هذه المدركات والصور العقلية بطريقة تشبه إلى حد ما الخبرة الإدراكية الأصلية، ولكنها ليست صورة حرفية لها، فهي مغايرة ومحرفة؛ لأنها تخرج ممزوجة بخياله وانفعالاته، كما أنها تتأثر بكفاءة الطفل في التعامل مع وسائط التعبير المختلفة .

فريد، فاطمة حلمي حسن

نسبة الذكاء والتذكر والسمات الابتكارية وعلاقتها بالتروي/ الاندفاع لدى أطفال دور الحضانة

القاهرة، مركز دراسات الطفولة، جامعة عين شمس، ١٩٩٩ .

دراسة قدمت للمؤتمر السنوي الرابع للطفل المصري

(الطفل المصري وتحديات القرن الحادي والعشرين)، القاهرة، ٢٧-٣٠ إبريل ١٩٩١

هدف الدراسة التعرف على طبيعة العلاقة الارتباطية بين التروي/ الاندفاع وبعض المتغيرات المعرفية (الذكاء ، التذكر، السمات الابتكارية) والمقارنة في هذه المتغيرات المعرفية بين أطفال الحضانة المتروين والمندفعين .

ولتحقيق هذه الأهداف أجريت دراسة على عينة تتكون من ١١٢ طفلاً (٦٤ بنين، ٤٨ بنات) من أطفال دار حضانة البراعم الإسلامية ودار حضانة الشبان المسلمين بمدينة الزقازيق، وكان متوسط عمر أفراد العينة ٤ سنوات و١٠ أشهر، واستخدم في الدراسة اختبار مطابقة الأشكال، ومقياس نسبة الذكاء، ومقياس السمات الابتكارية لدى أطفال الحضانة، وكذلك مجموعة من الصور تعرض على الفحوص لقياس التذكر .

وبعد إجراء الدراسة تبين من النتائج: وجود علاقة موجبة دالة بين مكون الاستجابة وكل من نسبة الذكاء والدرجة الكلية للابتكارية والدرجة الكلية للتذكر، ووجدت فروق دالة بين المتروين والمندفعين في نسبة الذكاء، الاستدعاء، التصرف، الاستقلال، المثابرة، والانطواء لصالح المتروين، ولم يوجد تأثير دال لتفاعل السمات الابتكارية والذكاء على كل من مكون الاستجابة وعدد من الأخطاء في اختبار مطابقة الأشكال .

فالطفل عندما يشرع في رسم أشكاله يقوم باستظهار المعلومات الموجودة في ذاكرته، واستدعاء تفاصيلها المطلوبة، فرسوم الأطفال تمثيل لشيء يحل محل شيء آخر، ويرمز له كبديل عنه. فالتمثيل عملية معرفية تنتج من تحويل الخبرات الإدراكية المتكررة عن الأشياء، وتنظيمها في أنظمة بصرية خاصة، ثم يقوم بتعميمها في المواقف والظروف المتشابهة .

فعندما يرسم الطفل الشكل الإنساني ذا الأبعاد الثلاثة، ويحوله إلى رسم ثنائي الأبعاد، فهو ينقله من مرحلة الشيء الواقعي إلى مرحلة التعبير الرمزي، التي اكتسبها من أشكال ومواضع متعددة، رآها في الواقع، وحولها إلى تعبير، أو موجز شكلي عن الإنسان يمثل فكرته عن الشكل الإنساني من كل الزوايا وفي كل الأوضاع .

وبناء على ما سبق يصبح لدى الطفل عدد من الصور والأشكال عن الأشياء، تشكل منظومته البصرية؛ نتيجة لتفاعله مع بيئته. فالطفل في رسومه يعيد بناء الأشياء الواقعية لتكوينها عقلياً ومعرفياً. فيقوم بدمج العناصر التي استوحاها من موضوعات عديدة، ويخزنها في منظوماته البصرية عن هذه الأشياء. وتتطور المنظومات البصرية للطفل مع ارتقائه العمري بمستوى ذكائه، وعملياته العقلية العليا، كالإدراك، والفهم، والتفكير، وتكوين المفاهيم، والقدرة على التجريد وحل المشكلات، بالإضافة إلى مهاراته اليدوية. ومنظومات الطفل البصرية دائمة التغيير، نتيجة لزيادة وعي الطفل وبنائه المعرفي وزيادة مدركاته البصرية كمياً وكيفياً، وعلى اتساع مخططاته وأنظمته العقلية .

ويجب أن نفهم أن الطفل يتعامل في رسومه مع المفاهيم العيانية ذات الطبيعة البصرية، مثل تعامله مع المفاهيم المعنوية المجردة، ويبدأ الطفل مخططاته التمثيلية قبل مخططاته التجريدية، أو التي تعتمد على مفاهيم معنوية، فكلمة "إنسان" ترمز إلى مفهوم عياني ملموس ومحدد، أما كلمة "كفاح" فتصوراتها العينية أقل تحديداً من سابقتها. وهذا يفسر إمكانية تمثيل الطفل للكلمات من خلال الصور والمعاني الشكلية. ولذا يسهل على الطفل التعبير عن المفاهيم العيانية، ويصعب عليه في السن الصغيرة التعبير عن المفاهيم المجردة. وللذكاء دور كبير في تحديد قدرة الطفل على التعبير عن مفاهيمه العينية أو المجردة وكيفية تمثيله لها، ولذلك فهو شديد الارتباط بمحددات وخصائص النمو الفني للطفل .

اختبار "رسم الرجل" :

وتعتمد اختبارات الذكاء من خلال الرسم على فكرة المناظرة بين مراحل النضج العقلي للأطفال ومستوى ارتقاء رسومهم. ومن أهم هذه الاختبارات اختبار "جوادنف" "رسم الرجل". ويتميز هذا الاختبار بسهولة تطبيقه، واتساع مداه العمري، وهو من أكثر اختبارات الذكاء إثارة لتلقائية الطفل واستجاباته المعرفية، وأدائه السيكولوجي. ويتحدد مستوى ذكاء الطفل في هذا الاختبار في مقدرته على استخدام الرموز الحسية والحركية، وعلى مهارته في التنظيم الإدراكي. فيقوم الطفل بتحديد الخصائص المميزة للرجل، وينتهي باستخلاص تعميم عن مفهومه عن الرجل، وهو تعميم لا يختلف باختلاف رجل عن آخر؛ لأنه تعميم يعين فئة الرجال التي يراها يومياً .

ويختلف المنبه في حالة رسم الرجل عن المنبهات المتعلمة التي تقيسها الاختبارات التقليدية للذكاء، فالمعلومة موجودة ومتوفرة في بيئة الطفل منذ ميلاده. وأقامت "جودانف" اختبارها من منطلق أن رسوم الأطفال تتضمن تكويناً نابعاً من مفاهيم عقلية، فالطفل يحاول تقليد واقعه المرئي في رسومه تبعاً لمستوى ارتقائه العقلي في المراحل العمرية المختلفة .

ولاحظت "جودانف" أن الطفل ينحو نحو الواقعية كلما تقدم في العمر، ومن هذا المنطلق افترضت أن هدف الطفل النهائي هو الاقتراب من الهيئة الفوتوغرافية للشكل الإنساني، وأقامت محكات تصحيح اختبارها على أساس أن الطفل يتجه مع تقدمه في العمر إلى زيادة التفاصيل، واقتراب الشكل المرسوم من النسب الواقعية .

ورغم انتشار استخدام هذا الاختبار؛ لسهولته وبساطته، والتسليم بأهميته، فإن نتائجه كانت محدودة، وتؤدي إلى تقديرات أدنى من التي يتم قياسها باختبارات الذكاء التقليدية الأخرى من حيث سعة المفاهيم، أو عموميتها، أو طريقة قياسها. فهو لا يعبر عن كم القدرات العقلية التي تشكل مفهوم الذكاء، الذي يشمل قدرات كثيرة غير متجانسة ومتنوعة في عملياتها وفي مضمونها وفي نتائجها .

فالاختبار لا يقيس سوى المفاهيم العينية التي تعكس تفاعل الفرد الإدراكي مع بيئته، ويتضمن عمليات عقلية، مثل الإدراك والتجريد والتعميم، بكل ما في هذه المفاهيم من عمليات معقدة. وكأنها ما زالت محددة ببعض المفاهيم العينية، مثل (نسب الرسوم - كمية التفاصيل- المواضع- الأحجام- الرسوم المسطحة أو المجسمة- التنظيم الإدراكي للأشياء- التعبير عن الكليات) .

ويفضل عند استخدام هذا الاختبار استبدال مفهوم الذكاء بمفهوم النضج العقلي، حيث نجد أن اختبار "رسم الرجل" يمكن استخدامه كطريقة سريعة لقياس المستوى الارتقائي العقلي للطفل، فاختبارات الرسم لا تتشبع بالمفهوم التقليدي للذكاء، ولكنها تقيس مفهوماً أقل تحديداً، وهو الأداء السيكولوجي عامة، أو النضج العقلي على وجه الخصوص.

كما أنها توضح تكوين الطفل للمفاهيم العيانية والإثارة والحفز العقلي. ورغم التمايز بين كل هذه المفاهيم وبين الذكاء، فإنه لا يمكن إنكار أنها جميعاً تقع في المجال المعرفي للطفل .

دور الأنشطة الفنية الإبداعية في إثراء الخبرات العقلية :

أما فيما يتعلق بإمكانية تعديل الذكاء عن طريق إثراء خبرات الأطفال الفنية وحثهم على ممارسة الأنشطة الإبداعية، اختلف علماء النفس حول دور العوامل البيئية المكتسبة في تغيير نسبة الذكاء الموروثة. لقد أثبتت الدراسات أن دور كل من الوراثة والبيئة في تكوين نسبة ذكاء الفرد هي نسبة ٨٠:٢٠، ولكن أثر البيئة قد يزداد إذا ما كانت البيئة محفزة ومثيرة للأفراد. فقد اتضح أن نسبة الذكاء تظل في نمو حتى سن الثلاثين في ظل البيئة المثيرة ثقافياً، بينما لا تكون هناك زيادة في نسبة الذكاء بعد سن السادسة عشرة بدون مثل هذه الاستثارات. وقد تتوقف قبل ذلك في حالة الحرمان الثقافي. ولكن يجب ألا نفهم من ذلك أنه يمكن تحويل الشخص الغبي إلى عبقري. وقد يرجع الذكاء إلى نوعين متمايزين، وهما :

١- الذكاء التحليلي أو الخام وهو ناتج عن عمليات الارتقاء العقلي العضوي .

٢- الذكاء المتعلم أو المتبلور وهو ناتج عن المكتسبات البيئية .

والذكاء الخام هو الإمكانية الأولية، وهو قدرة عامة مستقلة نسبياً عن التعلم والخبرة التي يمكن استثمارها في تنمية ذكاء الطفل الخام بتدعيم من دوافعه واهتماماته. أما الذكاء المتبلور أو المتعلم فهو ثمرة الخبرة النظامية والتعلم المستمر. ويتضمن المعلومات المكتسبة والمهارات العقلية المنظورة. فاختبارات المعلومات والحساب تعد مثلاً جيداً للذكاء المتعلم، بينما تعد اختبارات المتاهات والترميز مثالاً للذكاء التحليلي الخام .

وفي ظل التفسير السابق يمكن تحسين نسبة الذكاء في حدود معينة من خلال إثراء خبرات الأطفال من خلال أنشطتهم الفنية؛ لأنها تيسر عمليات تعلمهم للأنشطة الإبداعية المختلفة، وتساعد على تفاعلهم مع الوسائط والخامات التعبيرية، والتعرف على الألوان والأشكال والملامس. ويجب أن يسمح للأطفال بالمرور بمستويات الخبرة الفنية، كالملاحظة، والاكتشاف، والتعرف، والتمييز، والتدريب الإدراكي والتحليل، والتفضيل الجمالي، والتذوق المعرفي للفن. هذا إلى جانب التقييم النقدي الذي ينمي القدرات التحليلية لدى الأطفال.

ويجب أن ندعم الأطفال أثناء إنتاجهم الفني بالخبرات اللفظية التي تيسر عمليات تعلمهم من خلال المزاوجة بين الأشكال للصور العيانية (الخاصة بالصور) والأشكال اللفظية (الخاصة باللغة)؛ مما يسهل على الطفل عمليات الاكتساب والتخزين، وعمليات الاستدعاء، وعمليات الاستثمار الإبداعي. ويجب أن ينظر إلى الأنشطة الفنية للأطفال باعتبارها أسلوباً منظماً داخل عملية التعلم، فمن خلالها يمكن أن يمر بخبرات ذات أبعاد عقلية وجسمانية ووجدانية واجتماعية .

الحوراني محمد حبيب

رعاية المتفوقين عقلياً يجب أن تبدأ في مرحلة ما قبل المدرسة

في مجلة التربية (الكويت) ، ع ٣٠ (يوليو ١٩٩٩) ص ص ٦٦-٧٥ .

هدف الدراسة هو التعرف على أساليب الكشف عن الأطفال المتفوقين عقلياً في مرحلة ما قبل المدرسة والتعرف على خصائصهم، إلى جانب التعرف على ما يمكن أن تقدمه الحضانة والروضة والأسرة؛ لتشجيعهم على الاستمرار في التفوق العقلي. ولتحقيق هذه الأهداف بدأت الدراسة بتعريف إجرائي للطفل المتفوق عقلياً في مراحل عمره الأولى، وبينت ما يجب اتباعه للكشف عن هذه الفئة من الأطفال، ثم استعرضت الدراسة الخصائص المختلفة للمتفوق عقلياً، ومنها: القدرة على البحث المكثف عن المعارف والمعلومات، الرغبة الشديدة في التعلم، التعامل بحماس مع الأشياء والرموز، مثل الحروف والأعداد والرسوم التجريدية، تعلم القراءة مبكراً، القدرة على التركيز، القدرة على التذكر، طرح الأسئلة الكثيرة، تقديم إجابات مثيرة وغير متوقعة لكثير من الأسئلة، الميل إلى التواصل مع الأطفال الأكبر سناً، القدرة المبكرة على الكلام. وبينت الدراسة بعد ذلك أهمية تعاون دور الحضانة ورياض الأطفال مع الأسرة؛ حتى يمكن تحقيق التنمية العقلية والتفوق لدى الأطفال .

وعرضت الدراسة بعض المقترحات لتشجيع الأطفال على التفوق العقلي ومبررات هذا التشجيع ومبادئه، ودور كل من الأسرة والحضانة والروضة في هذا المجال، وبينت الدراسة أهمية تشجيع هؤلاء الأطفال لإشباع حاجات التعلم الفردي لدى كل منهم وأهمية تحديد إمكانات الأطفال المتفوقين عقلياً وتفتيح قدراتهم الكامنة من خلال برامج تشجيعية عديدة ومتنوعة، مع مراعاة أن الأطفال المتفوقين عقلياً مختلفون بعضهم عن البعض الآخر .

الخيال في قصص الأطفال

فايزة نوار
فنانة رسوم أطفال

نحن لا نرى الله – سبحانه وتعالى– لكننا نؤمن بوجوده، ونلمس قدرته في أنفسنا وفي كل ما يحيط بنا .

وهذا المنهج الإيماني للتفكير، يعتمد على الخيال في الوصول إلى الحقيقة. إنه الخيال أساس كل العقائد السوية وكل الإنجازات البشرية من علوم وآداب وفنون. فكيف ننكره على أطفالنا؟ وهم المرحلة النقية الربانية في حياة الإنسان ؟!

نعم ينكره كتاب قصص الأطفال وصانعو فنونهم في وطننا العربي .

يقول د. بشير بكري في مقالة له :

«الثقافة العلمية هي التي تحمي أطفالنا من الخرافة والسحر والأحاجي والأساطير»؟!

بدون تعليق :

إن الثقافة والتعليم والتربية زوايا ثلاث في مربع التكوين العقلي والنفسي للطفل. أما الزاوية الرابعة والمتممة، هي آداب وفنون الطفل، وهي النافذة الوحيدة في غرفة حياته المكدسة بالدراسة والتعليم والتوجهات التربوية في المدرسة أو المنزل. وهذه النافذة «فنون الطفل» يجب أن تُطل على فضاء رحب، على بساتين زهور وجنات، سماؤها صافية ملونة بقوس قزح. دنيا تسبح فيها طيور خيال تأخذ ناظريها من الأطفال؛ لتجوب بهم عوالم سحرية نورانية، وتعود بهم في نهاية القصة تملؤهم البهجة والصفاء، مستعدون لتحمل أعباء يوم تالٍ. وما أكثر أعباء أطفالنا اليوم !

ومن خلال عملي في رسم قصص الأطفال في الكتب والمجلات في مصر والعراق والكويت على مدى خمسة عشر عاماً تابعت فيها معظم ما يُكتب للطفل أجدني في النهاية أتساءل: لماذا الخيال عندنا قليل، وإذا طُرح يضيع بريقه من كثرة المحظورات والاعتبارات التربوية التقليدية أو الاعتبارات الدينية ؟

لذلك فقصص الأطفال – في وطننا العربي وبالتالي فنونهم– هي دنيا سماؤها خالية من العصافير، زهورها بلا رحيق، وموسيقاها لا تصلح إلا لأناشيد مدرسية تعليمية جافة، دنيا بأسوار عالية، وأبواب مُغلقة. ومسكين هذا العقل الصغير المُثقل للطفل العربي .

والخيال جزء من التكوين العقلي والنفسي للطفل. أحياناً تكون جرعة الخيال زائدة، فيختلط عنده الواقع بالخيال، وتذوب الحدود بينهما، ويبدأ الطفل في البوح بأن يروي لمن حوله قصصاً وأحداثاً يكون هو وبعض المحيطين به جزءاً منها، فيكون رد الفعل – وخاصة لدى الكبار– أن يرميه بتهمة الكذب، وينهى عن تكرار ذلك. وقد يُصبح في اعتبارهم حالة مرضية تحتاج إلى علاج. والحقيقة أن مثل هذا الطفل ينبئ عن روح حرة وعقل مبدع يجنح للبحث فيما وراء الواقع الجامد المفروض عليه. وحتى يكبر الطفل سالماً إلى سنوات عمره القادمة يجب في مثل هذه الحالة أن نجاريه فيما يرويه ونحاوره؛ لنطلق سراح مكمون أفكاره وتخيلاته، ونكون بذلك كمن يسحب طرف الخيط المكون منه شرنقة حريرية؛ لتنطلق في النهاية فراشة ملونة بديعة.

أنواع قصص الخيال العربية

قصص مأخوذة من تراث الشعوب والمملوءة بالأساطير والعجائب. وهذا النوع يكاد ينضب معينه من كثرة ما نهل منه كتاب الشرق والغرب، وهو معروف لدينا جميعاً من حكايات جداتنا وأمهاتنا وما سجله الكتاب في كتب قرأناها ونحن صغار وكبار وحُوِّل معظمها لأفلام كارتون، مثل (علاء الدين) والمأخوذ بعضها من حكايات ألف ليلة، وعن أساطير آسيا وإفريقيا، وأوربا الشرقية مثل فيلم ديزني (الجميلة والوحش) الذي أخذ عن قصة «الزهرة القرمزية» والذي اقتنيته في بداية عملي من المكتبة الروسية .

قصص خيالية ذات نهاية واقعية

وهذا هو النوع السائد أو المسموح به في الوطن العربي. فالقائمون على مجال أدب وفنون الطفل يعتبرون أن الاسترسال في الخيال بلا حدود إنما هو درب من دروب الكذب أو البعد عن المصداقية. ولم يهتم أحد أن يسأل الأطفال عن ماذا يحبون وماذا يسعدهم.

أثر هذا النوع على الطفل المتلقي

عندما يقرأ الطفل أو يشاهد قصة خيالية من هذا النوع يبدأ بأن تأخذه حالة الخيال، فيتحرر عقله ومشاعره من كل القيود، وينطلق سابحاً بعيداً عن الواقع التقليدي، ويكون في أثناء القصة في أبهى حالات الفرح والبهجة، ثم فجأة يسقط من علٍ، كقطعة من الحجر مصطدماً بأرض الواقع عندما يقرر كاتب القصة أن يصحو البطل، ويكتشف أن كل ذلك كان حلماً، واضعاً للحلم وللقصة نهاية واقعية. وأحياناً ينهيها بحكمة أو موعظة تربوية .

قصص الخيال المطلق

وهي ندرة وغايتها إطلاق خيال الطفل كوسيلة لإمتاعه وتحرير عقله الصغير من أية شوائب وأعباء تكون قد علقت به من رحلة يومه الممثلة بأعباء الواجبات المدرسية، أو حتى الأوامر والتوجيهات الأسرية .

ولا نقول إن تلك القصص تكون خالية من القيم الأخلاقية المعروفة، مثل الخطأ والصواب والخير والشر... إلخ، فهي تحوي كل ذلك، وتأخذ من الواقع بعض مفرداته وأحداثه، لكن

الكاتب فيها يذيب الحدود بين الحلم واليقظة، بين الحقيقة والخيال، فتصبح الحدود بينهم غير مرئية، يغدو المؤلف، ويروح من خلالها أكثر من مرة بسلاسة ونعومة، حتى يصل إلى نهاية القصة تاركاً الطفل المتلقي في حالة حُلم، تماماً مثل الطيار الماهر الذي يجيد عملية الهبوط بالطائرة، فلا يُشعر الركاب بلمسة العجلات للأرض، تاركاً لديهم إحساساً رائعاً باستمرار حالة التحليق في الفضاء، وإليكم هذه القصة كنموذج مثالي لهذا النوع من قصص الخيال:

اسم القصة «حيث توجد الأشياء المتوحشة»

وكانت الأعلى توزيعاً في أمريكا منذ أكثر من خمسة عشر عاماً .

مؤلفها هو رسامها. اسم القصة «حيث توجد الأشياء المتوحشة "Where The Wild Things are" وبها الرسم يأخذ كل مساحة الصفحة فيما عدا سطراً واحداً أو سطرين كتابة. وهذا النوع يُقصد به طفل ما قبل الحضانة، حيث يقرؤها له الأكبر، وأيضاً الطفل حتى سن تسع سنوات. وما حدث أنها تجاوزت السن الصغيرة، ونالت إعجاب الكبار أيضاً. وتبدأ القصة بذلك الطفل الصغير واسمه «ماكس» يجري في أنحاء المنزل مرتدياً ثياب ذئب.. مرتكباً أفعالاً مزعجة ومؤذية، مثل الجري خلف الكلب وفي يده شوكة طعام أو مُعلقاً لعبة أخته «دمية» في مشنقة، وغيرها من الأفعال التي أزعجت والدته، فصاحت فيه، ليكف عن ذلك، وأطلقت عليه لقب «الشيء المتوحش». فقال ماكس لأمه: أنا شيء متوحش؟ سوف آكلك إذن، فعاقبته بإرساله إلى فراشه بدون عشاء، يظهر ماكس في غرفته وهو ما زال يرتدي ثياب الذئب وينظر لما وراء الباب وعلى وجهه علامات الامتعاض والضيق. ويقول الكاتب في السطر التالي: «وفي هذه الليلة بالذات نمت غابة في غرفة ماكس». ونرى حجرة الولد وقد تلاشت جدرانها، ونمت بدلاً منها أشجار كثيفة، وفي الأرض نمت بدلاً من السجادة أعشاب خضراء. وهنا بدأ ماكس في السير في أعماق الغابة.. أخذ يسير ويسير - وكان الوقت في الغابة ليلاً - لم يُدْرِ كم من الوقت مضى ساعة أو أكثر.. يوم أو أيام. لعله سار سنة، حتى وصل إلى شاطئ بحيرة في طرف الغابة، فوجد قارباً مربوطاً بفرع شجرة وقد كتب عليه اسمه. حل ماكس القارب، واستقله، وأبحر به طويلاً ساعات وساعات أياماً وليالي، وربما سنة، حتى وصل إلى شاطئ جزيرة تضربها الأمواج، وقبل أن يلمس الشاطئ، فوجئ بوحوش غريبة - لها شكل حيوانات - بفراء، تقف على أرجلها الخلفية، وشكلها خليط من القبح والظرف.. هذه الوحوش تنادي: ماكس، ماكس وتزأر. لم يخف ماكس، ولم يتراجع، وإنما أكمل تقدمه، ونزل على الشاطئ، وربط قاربه، ووقف محملقاً في تلك الوحوش وهي مستمرة في الهياج والزئير؛ علها تخيفه، لكنه كان رابط الجأش، فركز نظره في عيونها الصفراء المخيفة، وصاح فيهم: «صمتاً» وكانت المفاجأة أن خافت الوحوش، وخضعت لماكس، ثم تقدمت، وحملته على أكتافها فرحة ومبهورة به؛ لأنه أخافها، ولأنه أخاف الأشياء المتوحشة. أطلقوا عليه «أكثر الأشياء توحشاً»، وتوجوه ملكاً عليهم. طبعاً سعد ماكس بذلك جداً، وأقامت له الوحوش احتفالاً رقصوا فيه، وغنوا طويلاً وهم حاملو الملك ماكس «مرتدياً تاجاً».. وفجأة صرخ فيهم أن يصمتوا، فأنهوا الاحتفال، ووضعوه على عرشه في خيمة أعدت له خصيصاً. جلس ماكس وحيداً مزهواً بنفسه. ثم ما لبث أن شعر بالوحشة.. ورغم بعد الجزيرة آلاف الأميال عن أول مدينة، فإنه استنشق رائحة طعام كالذي تعده أمه، ثم أحس برغبة في أن يحتضنه أحد، وبالتحديد أمه. وهنا غادر خيمته سائراً في اتجاه الشاطئ، وخلفه الوحوش ترجوه أن يعود، لكنه كان قد قرر العودة، وركب قاربه. وهنا قالت له «الأشياء المتوحشة»: لا ترحل.. نحن نحبك. سنأكلك حتى نحتفظ بك. لكن ماكس لا يعبأ بهم ويبحر أياماً وليالي وربما سنة، حتى وصل إلى شاطئ الغابة، وسار طويلاً ساعات وأياماً وليالي، حتى وصل إلى غرفته، وتمدد على فراشه. ولشد ما كانت فرحته حين وجد بجانب الفراش عشاءه ما زال ساخناً ، وهنا تنتهي القصة بدون أي تعليق، وبدون موعظة يوجهها الكاتب للطفل على غرار أسلوب كامل الكيلاني، أو كما في كتابات «لافونتين» المسماة بـ«خرافات لافونتين». هذه القصة «حيث توجد الأشياء المتوحشة» أذكر أنه قد قدم لها كاتب الأطفال الأستاذ/ عبد التواب يوسف، وكان تعليقه على القصة عدة تساؤلات، هي:

- من اشترى لهذا الطفل الصغير ثياب الذئب؟ من سمح له بارتكاب تلك الأخطاء؟لماذا نطقت الأم بهذه الكلمة «المتوحش»؟ ثم كيف يورد الكاتب على لسان الطفل كلمة، «سآكلك» موجهها للأم؟ ثم كيف ترد أصلاً كلمة التوحش هذه؟ويجد الكاتب عبدالتواب يوسف أن هذا النوع من القصص هو الباعث لموجة العنف في أمريكا .

هذا الرأي مثل الفكر السائد لدى كتاب الأطفال في الوطن العربي .

فكر المحظورات والممنوعات والذي جعل لقصص الأطفال قوالب جامدة غير قابلة للتجديد. أرى في هذه القصة ذلك المزج الحاصل بين الخيال والواقع، وأن كل فعل أو قول سيئ - وهذا وارد في سلوك الطفل السوي أحياناً - مردود عليه في نفس نسيج القصة .

أولاً : ماكس لا يسعد حتى النهاية بكونه أخضع الأشياء المتوحشة. إذن فهو ليس شريراً .

ثانياً : لا يكره أمه عندما هددها بأن يأكلها، بدليل أنه فكر فيها، وتمنى أن تحتضنه وهو في أوج انتصاره المتوحش .

ثالثاً : عندما أطلقت عليه أمه «شيء متوحش»، وحرمته من عشائه، لم يكن كل ذلك حقيقياً أو كما نقول من قلبها، فها هي قد أعدت له بالفعل عشاءه والذي وجده بجانب فراشه. ثم إن الأمهات العاديات السويات يتفوهن بكلمات غاضبة كرد فعل لشقاوة الصغار. وليس الأطفال أو الأمهات ملائكة بأجنحة، فكلنا بشر.. نخطئ أحياناً، وقصص الأطفال يجب - حتى وإن كانت خيالية - أن تكون مستمدة من الحقيقة .

ثم إن كلمة «شيء متوحش» هي التي بُنيت عليها كل تلك الأحداث المثيرة. وأعتبر أن هذه القصة خيالية.. تربوية للكبار والصغار بدون توجيهات أو استخلاص عبرة أخلاقية. وهي تترك في نفس الصغار والكبار الإحساس بما هو خطأ أو صواب مغلفين بسحر خاص، هو سحر الخيال .

دور الأسرة في تنمية ذكاء الطفل

أ.د. ناجي شنودة نخلة
أستاذ السياسات التربوية المساعد بالمركز القومي للبحوث التربوية والتنمية

تنمية ذكاء الطفل محور اهتمام كل أسرة؛ لأنه يمثل حاضرها ومستقبلها، والذكاء عملية ديناميكية، وليست استاتيكية، عملية مكتسبة وليست متوارثة فقط. فالذكاء قابل للنمو والتطور إذا ما أعرناه الاهتمام الواجب، وهيئنا له الوسائط الفعالة .

والذكاء لا يمنح للطفل لحظة ميلاده، وإنما ينشأ ويتكون خلال مراحل النمو (في الطفولة والمراهقة والشباب)، حيث إنه يتأثر في نموه بالعديد من العوامل، من أهمها الدور الذي يقوم به الوالدان في تربية الطفل، والمناخ العائلي، ونمط الحياة في الأسرة، ومن هنا فإن بعض الأطفال يصادفون في معيشتهم هذه الظروف المواتية، على حين يحرم منها البعض الآخر، ولذلك فالذكاء إحدى وظائف الشخصية التي تتنبه، ثم تتكون في الطفل، وتكون في بداية حياته هشة ضعيفة، ثم تكون نفسها بعد ذلك باطراد .

وقد أشار "جان بياجيه" إلى أن الذكاء هو "تكيف مع البيئة"، كما وصف تطور الذكاء بأنه عملية بناء وتركيب العناصر اللازمة للتطور وفقاً لنظام معين، إذ يبدأ بتجميد هذه العناصر وهي ما زالت هشة واهية، ثم يعمل على توحيدها؛ لتعد أساساً صلباً للنشاط العقلي .

ويسود في أوساط علم النفس اتجاه بأن الذكاء هو قدرة فطرية ومكتسبة في آن واحد والصفة الفطرية هي الصفة الثابتة نسبياً، أي التي لا تستطيع عوامل البيئة أن تغيرها إلا في حدود ضيقة، في حين أن الصفة المكتسبة هي الصفة المرنة التي تستطيع عوامل البيئة أن تنميها كثيراً أو تعطل نموها. وهناك من يرى أن البيئة تلعب الدور الأهم في تنمية ذكاء الطفل، مثل "واطسون" ، و"جون لوك" الذي قال: "إن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء تنقش عليها البيئة ما تريد من خبرات وتعلمه، والتصرف الذكي هو وليد هذا التعلم".

وقد أشار "جليفور" إلى أنه يمكن بواسطة إثراء البيئة وتوجيهها وجهة عقلية فعالة الارتفاع بنسبة الذكاء عند بعض الأفراد بمقدار (٣٠) درجة، وأن ذلك يرتبط بسن التدريب والتوجيه الفعلي للطفل. كما بينت بعض الدراسات الحديثة أنه قد يكون من الممكن بواسطة التحكم في مثيرات البيئة أن تجعل من شخص ما عبقرياً أو غبياً .

ويبدو أن التغييرات التي تحدث عند الطفل في سنوات عمره الأولى، ولا سيما في السنتين الثانية والثالثة تحدد إلى حد كبير قدراته الأساسية، مع أن المستوى العام للخبرة يكاد يكون واحداً قبل نهاية السنة الأولى من الحياة.

ويرى "روزنزفانج" أنه يوجد في سنوات الحياة في مرحلة الطفولة ما يسمى بالمرحلة الحرجة، وأن الطفل إذا لم يتلقَّ أثناءها التنبيه الكافي، فإنه لا يستطيع تعويض ما ينجم عن عدم استثمار تلك المرحلة، ذلك لأن بعض أجزاء المخ – على سبيل المثال – تتعطل عن العمل إذا لم تتم إثارتها بقدر كاف في عمر مبكر. وقد أشارت الأبحاث الحديثة إلى أنه بواسطة البيئة الثرية ثقافياً يمكن لنسبة الذكاء أن تتحسن وأن توالي ارتفاعاً حتى سن الثلاثين .

وإثراء البيئة بالمثيرات يؤدي إلى سيادة نمط من الناس ذي نشاط مميز، محب للاطلاع مثابر في العمل وإعمال الفكر، وهذا يعني أن ازدياد سرعة النمو العقلي سيصبح ممكناً، وقريب المنال إذا ما ضاعفنا الاهتمام بسنوات العمر المبكرة من خلال عدة وسائط، تتمثل في الاهتمام بنوعية الحياة في المنزل، والملاحظة والتوجيه، والتفاعل مع البيئة المحيطة بما تشمله من مؤسسات وأفراد .

ويحتاج الوالدان إلى أن يكونوا على وعي بوسائل وأساليب تنمية ذكاء أطفالهم، وبمخاطر عدم تنشيطه أو إهمال تنميته، فقد يكون هناك اعتقاد خاطئ لدى بعض الوالدين بأن الطفل الذكي لا يحتاج إلى مساعدة، وأنه يستطيع الاهتمام بنفسه، وقد يرجع ذلك إلى محاولة الوالدين الاهتمام أكثر بالأبناء العاديين أو الأقل ذكاء كتعويض عن فقدانهم القدرات التي يمتلكها شقيقهم الذكي. غير أن كثيراً من الشواهد تشير إلى أن عدداً كبيراً من الأشخاص الأذكياء كادت تضيع عليهم فرصة استخدام ذكائهم بشكل فعال لولا التدخل والدعم الذي وجدوه من قبل المهتمين بهم. وعلى العكس من ذلك قد يفضل الوالدان الطفل الذكي؛ لأنه يمكن استغلاله في الاعتزاز والغرور الأبوي، بينما يتم إهمال أشقائه الأقل ذكاءً، ويمثل هذا الإهمال خسارة كبيرة بالنسبة إلى الفرد والأسرة والمجتمع على حد سواء .

ونظراً لأن الذكاء قابل للنمو والتطور والتطوير، فإنه يتم عن طريق وسائط معينة ومن خلال مناشط متعددة تهدف إلى تنشئة الطفل منذ الصغر على التفكير العلمي المنظم، واستخدام عقله وفكره في كافة نواحي حياته وبناء دوافع الابتكار لديه. وتتعدد وسائط تنمية الذكاء لتشمل كافة المؤسسات المجتمعية الرسمية وغير الرسمية، وكافة التجمعات في الأسرة وجماعة الرفاق وأجهزة الإعلام المختلفة، وهذه الوسائط لو أدت دورها كاملاً لاستطعنا تنشئة أجيال من الأذكياء تملأ العالم العربي نشاطاً وتفكيراً في مستقبل أمتهم وابتكاراً لحاضرهم ومستقبلهم .

ومن الملاحظ أن جميع وسائط تنمية ذكاء الطفل متكاملة فيما بينها، ولا بد منها جميعاً، فتنشئة الطفل إنما في جوهرها عملية مواجهة مستمرة بمواقف اجتماعية داخل الأسرة وجماعة الرفاق، ولذلك فإن تأثر الطفل بالثقافة السائدة من خلال التعايش والتفاعل المستمر معها هو الذى يشكل القاعدة الرئيسية لعملية التنشئة .

ويلعب الوالدان الدور الرئيسي في تنشئة الأطفال وتعويدهم على تنشيط ذكائهم وقدراتهم العقلية، ومن هنا فإن تنمية ذكاء

الطفل جزء من التنشئة الشاملة المتكاملة للطفل، والتي تتم عبر مراحل حياته، ولكنها تكون مركزة ومؤثرة في مرحلة الطفولة .

وتبدأ عملية تنمية ذكاء الطفل من خلال لعب الأم مع طفلها منذ لحظة مولده ومناغاتها إياه، ثم حوار الأسرة معه؛ ذلك لأن صلة أعضاء الأسرة بالطفل دائمة وتأثيرها عليه كبير، كما أن فترة ما قبل المدرسة من أهم الفترات من حيث تشكيل شخصية الطفل وتحديد معالم سلوكه الاجتماعي. وقد أظهرت نتائج العديد من الدراسات أنه توجد علاقة جوهرية بين قدرات الأفراد الابتكارية والمستوى الاقتصادي للأسر التي ينتمون إليها .

وجماعة الرفاق في البيئة المحيطة بالطفل لها أهمية بالغة في تنمية ذكائه وقدراته ونقل نماذج السلوك والقيم المستقرة، وهي تنظيم اجتماعي غير رسمي يضم عدداً من الأفراد الذين يجمعهم تقارب السن أو قرب محل الإقامة أو تماثل الوضع الطبقي أو وحدة المكان الذي يرتادونه .

كما تلعب النوادي الرياضية والثقافية والاجتماعية والأدبية والفنية التي تشترك فيها الأسرة دوراً حيوياً بالغ الأهمية في تنشئة الطفل وتنمية ذكائه وقدراته، فهي توفر للطفل فرص اللعب المختلفة والأنشطة المتعددة، مثل القراءة والرسم وممارسة الهوايات. غير أن تأثيره يتوقف على نوع النادي ونشاطه وموقعه وإمكاناته والمشرفين عليه .

وسائل الأسرة في تنمية ذكاء الطفل :

يمكن تنمية ذكاء الطفل من خلال عدة أنشطة، من أهمها ما يأتي :

١- اللعب الموجه : يعد اللعب في مرحلة الطفولة المبكرة من أهم مجالات التعلم والنمو بالنسبة إلى الطفل في هذه المرحلة، فهو ينمي قدراته الإبداعية، واللعبة المركبة تمثل أمراً مثيراً للفكر والتفكير. ويرى بعض علماء النفس ضرورة تعليم الأطفال للعبة الشطرنج وممارستهم إياها منذ سن مبكرة؛ لأنها تفسح المجال الواسع لتنمية خيالهم وتعويدهم على تركيز الانتباه وتدريب القدرة الذهنية على الاستنباط والاستدلال والحذر والمباغتة، وإيجاد البدائل لحالات افتراضية متعددة .

كما أن اللعب بجميع صوره، وبخاصة الخيالي، له دور بارز في تربية الخيال العلمي لدى الطفل في سن مبكرة وتنمية شخصيته، وبلورة قدراته العقلية، وزيادة ثروته اللغوية والتعرف على العالم المحيط به. ومن الملاحظ أن الأطفال الذين يعشقون اللعب التخيلي يتمتعون بقدر كبير من التفوق، كما يتمتعون

بدرجة عالية من الذكاء والقدرة اللغوية وحسن التوافق الاجتماعي .

ويمكن من خلال اللعب غرس حب القراءة لدى الطفل وتعويده عليها، وذلك بتوفير الكتب التي تقترب من الألعاب، وخاصة تلك الكتب التي تحتوى على أجزاء تتحرك أو تأخذ شكل مجسمات إذا ما فتحت صفحاتها، ومن ثم فإن تقريب شكل الكتاب من اللعبة هو وسيلة للاستفادة من حب الأطفال للألعاب .

٢- توفير قصص الخيال العلمي: وذلك لتنمية الفضول العلمي والفكري وحب الاستطلاع لدى الطفل واستثارة اهتمامه، وينبغي أن تكون القصص التي يرويها الوالدان للأطفال قبل النوم تنطوي على مضامين أخلاقية إيجابية، وأن تكون سهلة واضحة المعنى بالنسبة إلى الطفل. كذلك تؤدي القصص العلمية والاختراعات إلى تهيئة عقل الطفل وذكائه للاختراع والابتكار .

٣- تدريب الطفل على القراءة وزيارة المكتبات والمتاحف: قد يتصور البعض أن الطفل لا حاجة به إلى الكتاب إلا بعد دخوله المدرسة وتعليمه القراءة. وهذا اعتقاد خاطئ، ذلك أن الطفل الذي نتركه بغير كتاب حتى سن المدرسة سيواجه صعوبات كثيرة في علاقته بالكتاب، وينبغي أن يكون كتاب الطفل جيداً في مادته وإخراجه ومناسباً لسن الطفل، بحيث يفتح شهيته للمعرفة والثقافة. كما تساهم المثيرات المتنوعة من المجالات وزيارة المكتبات والمتاحف وغيرها من المواد التعليمية الأخرى في تنمية ذكاء الطفل وقدراته .

٤- الاهتمام بممارسة الطفل للرياضة والهوايات والأنشطة الترويحية المختلفة: هناك مثل شائع يقول "إن العقل السليم في الجسم السليم"، وتشير كثيراً من الدراسات إلى صحة هذا القول، فيذكر "حامد زهران" بأن الابتكار يرتبط بالعديد من المتغيرات، مثل التحصيل والمستوى الاقتصادي والاجتماعي والنشاط البدني. ويذكر جليفورد أن الابتكار لا يقتصر على الفنون أو العلوم، ولكنه موجود في جميع أنواع النشاط البدني، فالمسابقات الرياضية تتطلب استخدام جميع الوظائف العقلية. كما أن الأنشطة الترويحية المختلفة (مثل الموسيقى والتمثيل والرسم والعمل الفني واليدوي والزخرفة والفك والتركيب أو التشغيل ...إلخ) والتي تنبع من ميول الطفل، تؤدي إلى نمو مواهبه وقدراته وتدريبه على التفكير المنظم.

٥- الحوار مع الطفل والاستجابة لأسئلته: من الضروري استغلال أكبر قدر من وقت الطفل في الحديث الهادف معه، والإجابة عن أسئلته واستفساراته بشكل واف، بما يساهم في توسيع خبراته وتعميق معارفه. ويجب تدريب الطفل على التفكير فيما يفعل، وذلك من خلال التعرف على أوجه التشابه وأوجه الاختلاف من أجل تنشيط ذكائه وقدراته. وعلى الوالدين فهم طفلهما وماذا يحب؟ وماذا يملك من قدرات؟ وما جوانب القوة والضعف لديه؟ بحيث يعملان على تعزيز نواحي القوة وعلاج نواحي الضعف التي يظهرها الطفل في بعض المجالات المعرفية والمهارية .

٦- استخدام أسلوب الحوافز والتشجيع: مثل شارات التفوق أو الحوافز الأدبية، كشهادات التقدير، أو الحوافز المادية، كأقلام التلوين واللعب والقصص وعلب الحلوى...إلخ. والحوافز هامة جداً للطفل؛ لتنشيط خياله وتفكيره وتنمية ذكائه. ويجب أن يركز التشجيع على جوانب القوة المختلفة في قدرات الطفل والتي نستدل عليها من اهتماماته وإنجازاته .

٧- إعطاء الطفل الحرية في التعامل والتواصل المباشر مع المحيط الخارجي في جو من المودة والثقة والاطمئنان، بحيث ينمو الطفل عقلياً واجتماعياً؛ فيعتمد على نشاطه الذاتي، ويكون أكثر جرأة ورغبة في توسيع مجاله المعرفي؛ مما يفتح أمامه فرصاً عديدة لتنمية ذكائه .

الطفل والإدارة الذكية للصراع

أ.د. قدري حفني
أستاذ علم النفس جامعة عين شمس

الصراع قدر البشر منذ وجدت الحياة، ولإدارة الصراع سبل شتى، لعل أبرزها سبيلان: استخدام القوة البدنية والمادية، والتفاوض وما يندرج تحته من بناء التحالفات والجبهات. ولكن قد يبدو للوهلة الأولى أن تعبير إدارة الصراع بما يتسم به من غلظة يبعد عن مجال الطفولة التي ألفنا أن نصفها بالرقة والضعف. وفيما نرى فإن الأمر ليس كذلك على الإطلاق، بل على العكس تماماً. ولقد كان لي شخصياً حظ الممارسة العملية في مجالين من مجالات علم النفس تبدو الشقة بينهما بالغة : مجال التنشئة الاجتماعية للأطفال، ومجال التفاوض السياسي. واتضح لي من جماع الممارسة في المجالين أن الطفل يمتلك بحكم ضعفه الفيزيقي قدرة هائلة في مجال محدد من مجالات إدارة الصراع، هو مجال التفاوض .

إن التفاوض هو «محاولة أن تكسب إلى جانبك أولئك الذين ترى أن بيدهم تحقيق مصلحة لك، ولكنهم لا يمنحونها لك طواعية، ولا تستطيع أنت الحصول عليها عنوة؛ لاعتبارات فيزيقية أو أخلاقية أو قانونية... إلى آخره» . ولو حاول أي منا أن يكتب قائمة تتضمن ما يريده من الآخرين، لوجد أن هذه القائمة تمتد إلى ما لا نهاية، وأنها تضم قائمة بالغة التنوع والاختلافات: إجازة من العمل، زيادة في المرتب، مشتريات أفضل بأسعار أقل، إعفاءات ضريبية، الحصول على أعلى سعر لأشياء نعرضها للبيع، إلى آخره، ولا تقتصر القائمة على تلك الأمور المادية المحسوسة فحسب. نحن نريد من الآخرين كذلك العديد من الأمور المعنوية التي قد تفوق في قيمتها أحياناً الأمور المادية، كالعدالة، والحرية، والحب، والأمن، والمكانة الاجتماعية وما يرتبط بها من ألقاب ونياشين وأوسمة. ذلك فضلاً عن مجالات التفاوض بين ممثلي الجماعات القومية والسياسية .

خلاصة القول أن ثمة سنة من سنن الكون مؤداها أنه لا يوجد فرد يستطيع تحقيق احتياجاته جميعاً بمعزل عن الآخرين، وأن الجميع في حاجة للجميع، ومن ثم فإننا جميعاً نمارس التفاوض طيلة الوقت وطيلة الحياة .

إنك لو نظرت إلى عالم البشر المحيط بك لوجدته عبارة عن مائدة مطروحة عليك للتفاوض. وأنت طرف مشارك في هذه المفاوضات. شئت أو أبيت. تكلمت أو اكتفيت بالإيماءات أو حتى التزمت الصمت. كبيراً كنت أم صغيراً. ذكراً أو أنثى. إنك تتفاوض دائماً مع أفراد أسرتك، ومع رؤسائك، ومع مرؤوسيك، ومع منافسيك، ومع البائعين، ومع المشترين إلى آخره. بل إنك تتفاوض أيضاً مع رموز ومؤسسات معنوية، كإدارة المدرسة، وإدارة المرور، ومصلحة الضرائب، وشركات الطيران، وإدارة الكهرباء إلى آخره. وقد تكون أنت شخصياً رمزاً لأي من مثل تلك المؤسسات، وتتفاوض باسمها مع طرف أو أطراف أخرى .

إن حقائق علم التفاوض السياسي تؤكد أنك لا تستطيع أن تحصل من خلال المفاوضات على أكثر مما تسمح به موازين القوى الفعلية، فمهارة التفاوض ليست قوة سحرية تمكن المفاوض الماهر من الحصول أو في كل وقت. ورغم صحة تلك الحقيقة، فإنه كثيراً ما تسيطر على المفاوضين السياسيين – خاصة في بداية خبراتهم بالمجال – فكرة مؤداها أن موازين القوى الفعلية إنما تتمثل فحسب في القوى المادية. ومن ثم فإنهم يتوجسون شراً حين تضطرهم ظروفهم العملية للإقدام على التفاوض مع طرف يتفوق عليهم في مجال موازين القوى كما يفهمونها. ولذلك فإن برامج إعداد وتدريب المفاوضين لا تخلو عادة من جانب يتناول هذه القضية، قضية التفاوض من موقع اختلال موازين القوى المادية لصالح الطرف الآخر. ولعل حالة التفاوض من موقع اختلال تلك الموازين تتجسد في حالة إدارة الطفل لصراعه من أجل تحقيق رغباته .

الطفل البشري هو أضعف المخلوقات قاطبة، فهو الكائن الوحيد الذي لا توجد أمامه أية فرصة للاستمرار في الحياة إذا لم يوجد من يقومون عليه ممن هم أكبر منه. إنه يولد غير مزود بأي من أدوات الحفاظ على الحياة. عاجز عن رد العدوان، عاجز كذلك حتى عن البحث عن طعامه. إنه يولد وليس لديه سوى عدد محدود من ردود الفعل الأولية البسيطة يمكن حصرها في المص والبلع والبكاء والنوم. ولكنه يولد مزوداً بسلاح هائل يستطيع أن يستثمر به تلك الإمكانات المتواضعة. ويتمثل ذلك السلاح في قدرته غير المحدودة على استثمار تلك الإمكانات في التعامل مع أولئك الذين بيدهم مقادير حياته. وسوف نحاول معاً استيعاب مقتطفات من دروس تلك الممارسة الذكية لإدارة الصراع من خلال رصد وتحليل بعض المواقف العملية التي صادفتني خلال ممارستي في مجال التنشئة الاجتماعية للأطفال .

الموقف الأول

إن أول أسلحة الطفل يتمثل في البكاء. وغني عن البيان أنه سلاح بالغ الضعف إذا ما قورن بما لدينا نحن الكبار من أسلحة. ورغم أن البكاء يكون في البداية استجابة

طبيعية تلقائية للإحساس بالألم البدني الناجم عن الجوع أو البلل أو ما إلى ذلك، فإنه سرعان ما يتحول لدى الطفل إلى سلاح لا علاقة له البتة بأي نوع من أنواع ذلك الألم البدني؛ ليصبح أداة يضغط بها الطفل على الكبار؛ لكي يحققوا له ما يريد مما لا يستطيع تحقيقه بنفسه. ولو تأملنا أطفالنا لوجدنا أنهم يطورون تلك الأداة البسيطة، وينوعون في تشكيلها وفقاً لما يقتضيه الموقف. فالبكاء يستخدم أحياناً لإزعاج من بيدهم الأمر، بحيث قد يضطرون إلى تلبية المطالب إيثاراً للهدوء وتخلصاً من الإزعاج. وقد يستخدم البكاء أحياناً أخرى لاستدرار عطفهم؛ مما قد يدفعهم إلى تلبية المطلب إشفاقاً وحباً. وقد يستخدم البكاء في أحيان ثالثة للعتاب والتحذير من تكرار الفعل المرفوض، كترك الطفل وحيداً. ونغمة البكاء تختلف من حالة لأخرى ومن موقف لآخر، فهي تقترب من الصراخ في الحالة الأولى، في حين أنها قد تكون أقرب إلى الأنين في الموقف الثاني، وهي قد لا تعدو أن تكون نهنهة في الموقف الثالث .

أذكر موقفاً لطفل استخدم فيه بمهارة فائقة تلك النغمات الثلاث في ثلاثة مواقف متتالية. لقد اضطرت أمه لحمله إلى منزل جدته صباحاً؛ لكي تذهب إلى عملها. وما إن وصلا واستدارت متجهة للباب، حتى انطلق صراخه احتجاجاً؛ آملاً أن ينجح في إثنائها عن قرارها. ولكن لم يكن بُدٌّ من أن تتركه الأم في قمة تزايد صراخه إلى أقصاه. وبعد فترة وجيزة أدرك بعدها أنه لا أمل في تراجعها عن قرارها، فقد نفذته بالفعل. ولم يلبث آنذاك أن تلفت صوب جدته، وتحول صراخه إلى نوع من الأنين مختلط بكلمات تحبب للجدة مشفوعة بقائمة من طلبات الحلوى واللعب المفضلة إلى آخره. وانطلق الطفل يلعب إلى أن عادت الأم، وإذا به يعاود البكاء هذه المرة، ولكنها النهنهة كما لو كان يعاتبها محذراً من تكرار ذلك .

وإذا ما حللنا هذا الموقف مستخدمين لغة التفاوض التي يعرفها الكبار لاستطعنا أن نتبين بسهولة أن الطفل في هذه السن المبكرة – سن ما قبل المدرسة – قد استوعب قيمة ما لديه من أداة الصراع، وطور تلك الأداة؛ لتتخذ أشكالاً مختلفة، واستخدم كل شكل في توقيته المناسب، فللصراخ وقت يختلف عن وقت الأنين، وللنهنهة وقتها المناسب كذلك. ومن ناحية أخرى فقد توافرت لديه المرونة الكافية للإقلاع عن استخدام سلاح لم يعد مناسباً للموقف، فلم يستمر في ممارسة شكل محدد من أشكال البكاء بعد أن أدرك بشكل واقعي عدم جدواه. بل إنه استوعب أهمية الاستفادة من إمكانية تعديل الطلبات، فلا بأس من الحصول على بعض اللعب والحلوى وحب الجدة أيضاً، كثمن معقول للكف عن البكاء، ولكن تقاضيه ثمناً للتهدئة لا ينبغي أن يفهم على أنه تنازل عن المطلب الأساسي، ومن هنا كانت نهنهة العتاب.

الحالة الثانية

طفلنا في هذه الحالة أكبر قليلاً. يعيش في كنف والديه. الأم لا تعمل، والأب يعمل نهاراً في جهة حكومية، وله عمل آخر بعد الظهر يعتمد عليه لاستكمال ما يحتاجه البيت من مصروفات. ولذلك فإنه يعود من عمله الحكومي؛ ليتناول غداءه بسرعة، ثم يغفو لفترة محدودة، حتى يستطيع الذهاب إلى عمله الثاني نشطاً. وخلال هذه الفترة المحدودة ينبغي أن تحافظ الأم بصرامة على هدوء المنزل تماماً، وحين كانت تغفل عن الالتزام بذلك لسبب أو لآخر كانت تتلقى منه عتاباً قد يكون حاداً .

ذات يوم بدا للطفل أن سنه قد أصبحت مناسبة للنزول إلى الشارع بمفرده. وبدأت مفاوضاته مع الأم منذ الصباح الباكر بعد خروج الأب للعمل وانهماك الأم في الأعمال المنزلية المعتادة. وكان الرفض قاطعاً في البداية :

«إنك ما زلت صغيراً» .

«لقد كبرت. فضلاً عن أنني أرى بعيني أطفالاً في مثل سني يسيرون في الشوارع بمفردهم» .

«إنهم يختلفون عنا .. لا شأن لنا بهم. ثم إن أحداً لا يمشي في الشارع دون أن يريد شيئاً محدداً» .

«حسناً إنني أريد شراء حلوى من البقال على الناصية» .

«اطلب من والدك أن يأتيك بما تريد» .

ويستمر الطفل دون ملل في تفنيد حجج الأم، إلى أن تضيق به، فيبدأ في البكاء احتجاجاً على رفض مطالبه. وتظل الأم عند موقفها، وبعد فترة يكف الطفل عن البكاء، وينصرف إلى شأن آخر. وتظن الأم أن طفلها قد تخلى عن مطلبه. ولكنه تأجيل إلى حين .

لقد عاد الأب من عمله الصباحي، وتناول غداءه، وبدأ غفوته التقليدية، وانصرفت الأم إلى نشاط منزلي لا يستدعي حركة ولا صوتاً. وإذا بالطفل يقترب منها في هدوء، ليتبادل معها حواراً هامساً :

«أرجو يا أمي أن تسمحي لي بالنزول إلى الشارع» .

«أنت تعرف أنني لا أوافق، الشارع خطر».

«لن أعبر الشارع.. سأسير على الرصيف إلى أن أصل إلى البقال على نفس الرصيف».

«حبيبي إنني أقلق عليك، ولا يمكن أن أوافقك على ذلك» .

«فيم القلق؟ تستطيعين أن تنظري إليَّ من الشباك لتراقبيني» .

«قلت لا. كف عن مناقشة هذا الموضوع» .

ويبدأ الطفل في نشيج خافت، كما لو كان نذيراً بصراخ قادم تعرف الأم مدى ما يسببه من إزعاج. وتتورط الأم في أن تعده بأنها ستفكر في الأمر، ويبادرها محتضناً إياها شاكراً لها أنها سمحت له، مطالباً إياها أن تقسم على ذلك. ولا تجد الأم القدرة على رفض هذا الحب الجارف، فتقول له «إن شاء الله» ويؤكد هو على التزامها بوعودها مكرراً تأكيد حبه لها .

وحين يستيقظ الأب تروي له الأم ما حدث، ويتفقان على عدم الاستجابة لهذا المطلب، حتى لو صرخ الطفل، وضاعت غفوة الأب. وكرر الطفل محاولته، وارتفع النشيج إلى بكاء، وإذا به يفاجأ بأن ثورة الأب تتجه هذه المرة إليه، وليس إلى الأم، ويصمت فوراً. ولكن أيضاً إلى حين .

لقد أدرك الطفل أن سلاح البكاء قد فقد فعاليته. ولكنه لم ييأس، لقد لاحظ عبر سنوات عمره الصغير أن والده لا ينحني ليقبل يد أحد إلا يد الجدة، وأن أحداً لا يخاطب والده بلهجة تحمل صيغة الأمر إلا هذه الجدة. وانتهز الصغير فرصة وجوده مع جدته؛ ليعبر لها أولاً عن حبه الشديد لها، ثم يشكو لها ما يعانيه من إصرار والده على حرمانه من متعة المشي في الشارع. وتتعاطف الجدة معه، وتعده بالتدخل لدى والده .

لن نمضي طويلاً في تتبع مغامرات صغيرنا في إدارته لصراعه من أجل تحقيق هدفه. ولننتقل إلى تحليل مجريات هذا الموقف مستخدمين مرة أخرى لغة التفاوض التي يعرفها الكبار.

لقد تميزت إدارة الصغير للصراع بما تطلق عليه برامج تدريب المفاوضين «اختيار الوقت المناسب للتقدم بالطلبات وبدء التفاوض»، ويؤكد علم التفاوض السياسي أن اختيار التوقيت المناسب يقتضي دراسة الاحتياجات الحقيقية للطرف الآخر دراسة جيدة، بحيث يسهل اختيار الوقت الذي يكون فيه الطرف الآخر في أضعف حالاته، حتى تسهل ممارسة الضغط عليه. لقد اختار طفلنا وقت انشغال الأم، ووقت نوم الأب للتقدم بطلباته وممارسة ضغوطه .

وتميزت إدارة الصغير للصراع أيضاً بما يعرف بفن التحالف. وقد استطاع طفلنا أن يتحالف مع الجدة؛ ليضغط من خلالها على الأب. بل إنه استخدم أيضاً ما يعرف في فن التفاوض بأسلوب التوريط وانتزاع الالتزامات حين بادر بإعلان تفسيره لوعد الأم له بالتفكير في الموضوع، باعتباره قبولاً من حيث المبدأ، بل والتزاماً بتلبية المطلب .

لقد اكتفينا بهذين الموقفين فحسب من بين العديد من المواقف التي تكشف عن حقيقة مؤداها أن الأطفال يمارسون بالفعل مهارات إدارة الصراع بالتفاوض منذ البدايات الأولى لحياتهم. إنهم يمارسون في البداية العديد من أساليب التحالف والتفاوض، والرفض اللفظي المعلن، والاحتجاج السلبي بكافة مظاهره التي تصل بالأطفال أحياناً إلى ممارسة أشكال جنينية من «العصيان المدني»، كرفض التحرك مع عدم تنفيذ التعليمات، أو الامتناع عن تناول الطعام إلى آخره. ولكنهم للأسف لا يستمرون كذلك، فنحن الكبار إيثاراً لهدوئنا واستقرار مجتمعاتنا على ما هي عليه، ونفوراً من دفع ثمن التغيير؛ نتكاتف لدفع أطفالنا إلى ما يتنافى مع فطرتهم التلقائية الطبيعية. الطفل بفطرته محاور، ندفعه إلى الصمت. الطفل بفطرته متسائل، ندفعه إلى تقبل التلقين. الطفل بفطرته مفاوض فعال، ندفعه إلى الجمود العدواني. الطفل بفطرته تلقائي، ندفعه إلى التصنع والمداهنة، الطفل بفطرته ميال للمشاركة، ندفعه إلى الانطواء والتوجس من الآخرين. ولم يكن غريباً بعد كل ذلك، أن تؤدي تنشئتنا لأطفالنا إلى حيث لا يجد الطفل أمامه لمواجهة مواقف الحياة إلا واحداً من سبيلين لا ثالث لهما: إما التصدي بالعنف لإزالة ما يحول بينه وبين ما يريد تحقيقه، ذلك إذا ما استطاع، فإذا لم يستطع، وكانت العقبة أقوى من إمكاناته؛ لم يعد أمامه إلا السبيل الآخر، وهو الاستسلام بلا شروط: هجرة فعلية، أو مرضاً نفسياً، أو انطفاءً سلبياً .

عثمان، أمنية محمد محمد

دراسة تأثير وعي الأمهات فيما يتعلق باللعب والألعاب على معدلات ذكاء الأطفال في مرحلة ما قبل السن المدرسي وقدراتهم الابتكارية .

رسالة ماجستير قدمت لكلية التربية، جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٢

هدف إعداد الرسالة هو التعرف على مدى وعي الأمهات بلعب وألعاب أطفالهن، والعوامل المؤثرة على هذا الوعي، وعلاقة ذلك بذكاء وقدرة أطفالهن الابتكارية. ولتحقيق هذه الأهداف أجرت الباحثة دراسة تجريبية على عينة ضمت ٢٨٠ أماً وأطفالهن في عمر ٣-٦ سنوات، وكانت العينة تضم ١٠٠ أم من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة، ١٨٠ أماً موظفة تم اختيارهن من الكليات والمعاهد التابعة لجامعة الإسكندرية، واستخدمت الباحثة في الدراسة التجريبية استبياناً ضم بيانات عن المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، سن الأم، حالتها التعليمية، وسن الأب ومهنته، واستخدمت إلى جانب الاستبيان المقابلة الشخصية .

وبعد إجراء الدراسة تبين من النتائج: وجود ارتباط بين المستوى التعليمي للوالدين ومتوسط دخل الأسرة وبين ذكاء الأطفال وقدراتهم الابتكارية، وجود علاقة ارتباطية بين نوع لعب وألعاب الطفل مع الوالدين وبين ذكاء وقدرة أطفالهم الابتكارية، ووجود علاقة ارتباطية بين سن الوالدين وجنس الطفل وبعض المقاييس الجسمية وبين قدرة الأطفال الابتكارية وذكائهم، ووجود علاقة ارتباطية بين كل من وعي الأمهات ومستواهن الثقافي وذكاء أطفالهن وقدراتهم الابتكارية .

مذكرات معلمة

عرض : **منى يونس**

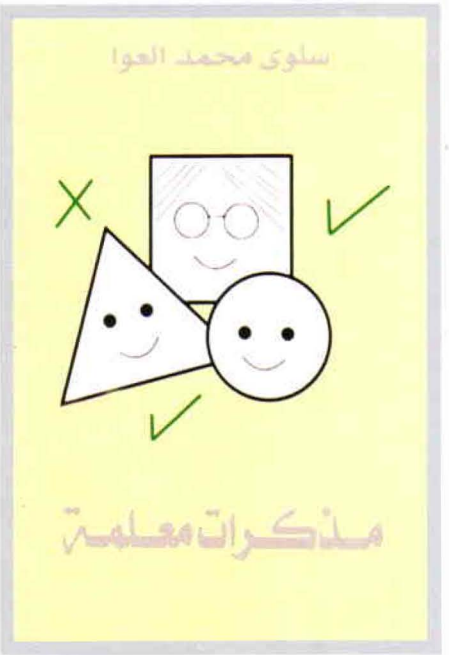

في كتابها الجديد "مذكرات معلمة" أمسكت سلوى محمد العوا بالقلم، كما تمسك المعلمة الماهرة بالطباشير، وجذبت انتباه القارئ كما يجذب المعلم جوارح الطلاب، فوضعت بين أيدينا كتاباً صغيراً في الحجم كبيراً في القيمة، يحمل أوجهاً متعددة من الخبرة الإنسانية، ويقدم الكتابة قلماً مسنوناً وكلمات مرسومة مكتوبة بحبر القلب قبل أن تكون انعكاس تجربة معلمة بدأت طريقها بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

في مقدمة الكتاب الذي صدر عن دار الشروق بالقاهرة مع مطلع عام ٢٠٠٠، ترفع سلوى من قيمة العلم ودور المعلم في الحياة والمجتمع .

ثم تتحول بنا عبر صفحات كتابها الشيق إلى تجربتها في الفصل وتفاعلها التربوي والإنساني مع الطلاب .

تعلمت سلوى خلال مراحل حياتها العملية كثيراً وكثيراً، فهناك من علمها ألا تتكلم بسرعة، ولو كان هذا أسهل عليها وأكثر اقتصاداً في الوقت، بل عليها دوماً أن تبحث عن طريقة عملية بديلة؛ لأن من حق الطلاب الاستماع إلى لغة مفهومة والاسترخاء في حضور مدرس رحب الصدر .

ومعلم علمني ألا أجعل عملي حرفة أبداً، ولو كان عملي مصدر رزقي الوحيد، فإني لن أنجح فيه أبداً إلا إذا فعلته دائماً بحب، وفقط من أجل هذا الحب، وبهذه الطريقة سيفتح لي أبواب رزقه؛ لأن الحب الصادق هو الذي يمنح الصادقين عطاياه .

ومعلم علمني ألا أترك الفصل إلا وفي قلب كل من طلابي علامة جميلة، أو كلمة طيبة لا تُنسى، سيعرف من خلالها نفسه، وتكون نجماً مضيئاً في درب مستقبل يجهله وأجهله. ولن أكون هناك لأسانده، لكن كلماتي ستكون هناك، وستأخذ بيده، وتهدي عينيه، حيث لا يصدر العالم إلا لضوضاء وفوضى مضللة صاخبة مشوشة.

ومعلمة علمتني ألا أقول إلا الكلمة الجميلة، فلا تمتلئ لحظات قصار أقضيها مع طلابي إلا بكل الحب الذي يعيدهم إلى الفصل في موعد الدرس الثاني بشوق لا بملل ورغبة عنيدة في الإفلات .

ومعلم علمني أن التجارة تفسد التعليم، وأن أسوأ ما يمكن أن يعلمه المدرس في الفصل هو الترويج لبضاعة عوضاً عن منحها لطلابه الذين يدفعون ثمنها في أية حال، وهم أيضاً سيعرفون بأنفسهم بأنها بضاعة جيدة، إن كانت كذلك؛ لأنهم – في الفصل – لا عمل لهم سوى أن يجربوها، ولا عمل لنا إلا أن نجعلها حقاً جيدة ومهمة .

ومعلم علمني أن الخطر على المدرس ليس هو اقترابه من طلابه إلى درجة يظن معها أن الحق هو الابتعاد عنهم، حتى يفقد طلابه شعورهم بوجودهم في عالمه، ويفتقدون إيمانهم بأن عمله الوحيد هو تعليمهم ومساندتهم وتعزيز ثقتهم بقدراته وبالعلم الخير، فيضيعون منه في الحقيقة، ولا يبقى أي فارق يذكر بين تلقيهم علماً من أوراق يجمعها مجلد واحد أو من دوائر بلاستيكية لامعة تسمى الأسطوانات المضغوطة . في كبسولات سريعة الهضم، وبين تلقيهم العلم من روح حية تعرف الحب والإيمان .

ثم تنتقل بنا الكاتبة والمعلمة قبل ذلك وبعده، إلى شعورها، بل إدراكها العميق بأن الطالب لا يعيش منعزلاً في الفصل الدراسي، بل هو جزء من مناخ يدفعه للأمام أو يصيبه بالإحباط .

ينبغي أن نجعل الأساسيات هي هدفنا الحالي، فنعيد شرح حقائق العلم وبديهياته بطريقتنا الجديدة... وأننا بشر مثلهم يمكن أن نتكلم عن أشياء تتصل بحياتهم وأن نهتم بهمومهم، وأن نعاني كآباتهم، وأن نمازحهم دائماً، وأن نقول إننا لا نعلم أحياناً، وإننا غير متأكدين، وإننا سنبحث، وسنسأل أساتذتنا، ونسألهم لنتعلم منهم أحياناً، فتصبح محاضراتنا فيما بعد هي اختيارهم المحب الواعي، ويتذكرون ما نقول، ويتكلمون عنه، ويستزيدون منه .

لكن الطالب ليس وحده الذي يتعرض للأحداث والعوارض، بل المعلم أيضاً، فترصد لنا لحظة تفرغها للحصول على الماجستير .

المفارقة بين المعلمة والباحثة هائلة جداً، فالباحثة تفكر ولا تتكلم ولا تجزم برأي قاطع، وتكتب فقط على أوراقها، بينما ينبغي على المدرسة أن تقطع بالرأى، وأن تعلم الطلاب شيئاً ما كبيراً وكثيراً .

الباحثة يصحح لها الأساتذة المشرفون والأساتذة المؤلفون، أما المدرسة فهي الأستاذ الوحيد في مواجهة تلك القلوب الصغيرة الضعيفة .

الباحثة تعيش وحدها في صمت. أما المعلمة فستعود إلى الطلاب؛ لتكون بينهم، وتتصل بهم، وتبحث عن التصرف الصحيح لتفعله، والقرار الصائب لتتخذه، والقرار الفعال لتربي، وماذا ستراها ستفعل –المعلمة– وقد تعلمت صمت الباحثة وخجلها، وقد تعودت يدها وعيناها فقط على الحركة، بينما ينبغي عليها الآن أن تعود إلى حيويتها الكاملة في غرفة الدرس والمدرسة؟ لقد شعرت لأول مرة بالخوف من الطلاب .

وهكذا تنتقل بنا سلوى من تجربة إلى أخرى، ومن إدراك وانفعال وجداني إلى آخر في أسلوب بارع لا يخلو من الأسلوب المبسط الأدبي الراقي، الماسك بكافة خيوط انتباه وتركيز جوارح ومشاعر القارئ، ولا ينفك القارئ من انجذاب هذه الخيوط إلا مع آخر كلمة في الكتاب.

استشارات تربوية

حرصاً من مجلة "خطوة" على مواكبة أحدث التطورات في مجال تكنولوجيا المعلومات ، خصصت ضمن أبوابها باباً بعنوان «مقهى الإنترنت» . ويسعدنا أن نقدم في هذا العدد بالتعاون مع إسلام أون لاين Islam on line أحدث مواقعها بعنوان (استشارات تربوية) حيث يرد مجموعة من الاستشاريين والمتخصصين على شكاوى وتساؤلات الوالدين . وقد اخترنا عدداً منها ، فإذا رغبتم في التعرف على المزيد منها يمكنكم زيارة الموقع الآن :

www. Islam on line. net/tarbia/arabic/browse.asp

إسلام أون لاين.نت
IslamOnline.net

فارابي العصر - أم عبد الله - قطر

رزقت بطفل، وكانت صحته غير جيدة بسبب بعض الأمراض الوراثية كسيولة الدم، وظل السنة الأولى من حياته بالمستشفى؛ بسبب تلقى العلاج، ولكن – ولله الحمد – هو الآن بصحة جيدة، ولكن في فترة الأولى زار المستشفى بروفيسور، وجلس مع ابني كثيراً، وقال لي :إن طفلك هذا طفل غير عادي فهو ذكي جداً، فرحت كأي أم، طبعت كلماته بصمة في ذاكرتي، المهم في ذلك: وهو يكبر سنة بعد سنة سمعت مثل حديث الطبيب هذا على لسان الكثيرات من المدرسات في الروضة وصديقاتي وأهلي أيضاً، فجميع المدرسات قلن لي: إن ابنك ذكي جداً وذكاءه يختلف عن معظم الأطفال، وأحب أن أخبركم أنني أدخل أبنائي الروضة في السنة الثالثة من العمر حتى يستفيدوا من أوقاتهم، ودخل هذه السنة المدرسة . وفي مجلس الأمهات قالت لي المدرسات نفس الحديث: ابنى بالإضافة إلى أنه متفوق في دراسته فهو ذكي جداً، وذكاؤه يختلف عن الطلاب، "قالت لي مدرسته: "لدينا في الفصل الكثير من المتفوقين، ولكنه ذكي"، ولكن ماذا بعد هذا الحديث؟! ماذا عن طفلي؟!! أحس بذكائه بدرجة كبيرة، فهو إنسان دقيق جداً يرى الأمور بطريقة لا يراها الأطفال غيره، يتألم لما يحدث في فلسطين، يعبِّر عن ألمه برسوم الدبابات وما يتمناه، ويقول لي دائماً: إنه يريد أن يصبح مجاهداً في سبيل الله، رقيق جداً في مشاعره، يتأثر بسرعة، حنون جداً، رحيم بمن حوله، لا يقبل أن يكون الأقل بين إخوانه في درجاته، يُقبِّل يدَيَّ وقدَمَيَّ في اليوم أكثر من مرتين، مؤدب جداً، يحب الرسم، ورسومه دقيقة جداً، وخطوطه رفيعة، كلما أحس بشيء حوله ، يرسم انطباعاته وما يريد أن يقوله على الورق، أوفِّر له الأوراق والأقلام والألوان، يحب القراءة، يجيد في هذه السن قراءة وكتابة أشياء كثيرة تكبر سنه، ويعتبر المواد الدراسية سهلة جداً، قررت أن أطلق عليه "الفارابي" بالمنزل، وهو سعيد جداً بهذا اللقب، وسأل عن الفارابي، وحدَّثته عنه، وهو يأمل أن يكون مثله، وسوف تقولون ما هي المشكلة، أقول لكم: المشكلة أنني ألاحظ هذا كله وحدي، فوالده دائماً مشغول في أمور الحياة والعمل، وأخاف أن ينتهي إبداعه ويُقتل ذكاؤه بكثرة المشاكل التي بيننا، أحب أن أطوِّر من هذا الطفل بإدخاله معهد الإبداع الفني أو المركز العلمي، ولكن للأسف الكل يرى أن سن طفلي غير مناسبة للدخول في هذه المراكز مع أنه متفوق في مادة الرياضيات والعلوم، ويقول لي : إنه يدرس مادة اللغة العربية، لينجح ولكنه لا يحب المادة، إذن فميوله علمية، كيف أشجعه على ذلك؟ وأظن أنه لو تم التركيز عليه فأعتقد أنه سيكون له مستقبل كبير في مجال العلوم؟ من أين أبدأ وكيف؟ هل لديّ طفل متميز أو أنني أتوهم ذلك، ويوجد مثل طفلي الكثيرون؟ أستطيع أن أفعل كل هذا من جانبي فقط؟

الحل

سعدنا بك أم "الفارابي" علي صفحتنا، في البداية نحب أن نطمئنك، فعلى الرغم من أن دارسي التفوق العلمي اختلفوا كثيراً فإنهم اجتمعوا على نقاط بسيطة من أهمها: "أن الذكاء بالإضافة إلى كونه عنصراً وراثياً فهو وليد البيئة ويتكون في مختلف مراحل النمو، وخاصة مرحلة الطفولة المبكرة .

فما عليك يا سيدتي الفاضلة "أم فارابي العصر إلا تهيئة كافة الظروف المحيطة بابنك، واستخدام كافة الأدوات والوسائل؛ حتى تتيحي لذكاء وإبداع ابنك أن يرى النور .

فكما أننا نهيئ الأجواء ونُعدّ المواد اللازمة لإشعال "نار الشواء" ونتعهدها بالرعاية طوال الوقت، عليك تهيئة الظروف والأجواء المحيطة بالابن، ومدّه بما يحتاجه عقله الصغير المتنامي، مع رعايته وتعهده في سنواته القادمة.

الأسرة تلعب دوراً مهماً في تنمية قدرات الأبناء الابتكارية ؛ لما توفره من فرص التعرض للخبرات الناجحة تعرضاً مباشراً، وبالتالي تنمي التفكير الابتكاري وتشجعه عند هؤلاء الأبناء .

لا ننكر أبداً دور الأب وأهميته، وبخاصة بعد بلوغ الابن سن السابعة، ولكن التاريخ علمنا أن الأم كانت هي دوماً وأبداً المسبب الأول لنبوغ العباقرة وتوقد ذكاء الرجال. فهذا "جون آدمز" أشهر اقتصادي في العصر الحديث يقول: "كل ما وصلت إليه من الشهرة وعلوّ المركز إنما يعود الفضل فيه إلى أمي" .

أما "إبراهام لينكولن" أول رئيس للولايات المتحدة فقد قال: "إني مدين بكل ما وصلت إليه، وما أرجو أن أصل إليه من رفعة إلى أمي".

ولكن كيف؟ ماذا فعلن؟

الإجابة في كلمة بسيطة جداً: التحفيز وزرع الثقة بالنفس -- وما إطلاقك للقب الفارابي إلا الخطوة الأولى في هذا الطريق الطويل - وإليك الدليل: "كانت أمي تثق بي كثيراً، أكثر مما أستحق، فحاولت أن أحيا لأحقق ثقتها بي؛ فصرت توماس أديسون" (مكتشف المصباح الكهربائي) .

شجّعيه على القراءة في كافة المجالات، ثم انتقلي إلى المجال المحبب إليه، وكما وصفت أنه مجال الرياضيات والعلوم، اختاري الكتب المبسّطة الشيّقة الجذابة. اجلسي معه، تناقشا سوياً في كل ما يقرأ. اجعلي "الكتاب" أثمن ما يملك. احكي له عن علماء المسلمين "ابن سينا، ابن الهيثم، الخوارزمي.. " كيف كانوا مثابرين، مجتهدين، ذوي عزيمة وهمة فالعبقرية كما قال أينشتين: ١٪ موهبة و٩٩٪ مثابرة.

صغيرك بأمسِّ الحاجة إلى أن يتعلم "العمل الجاد"، لو قرأتما كتاباً لا تنتقلا لغيره بدون فهم ووعي لكل ما فيه، ليتعلم أن المتعة الحقيقة هي إنجاز العمل والأخذ بالأسباب .

ويضيف هنا الدكتور حمود عليمات أستاذ علم الاجتماع في جامعة الأردن : ينبغي عدم حرمان الطفل من النماء الاجتماعي والاستمتاع باللعب مع أترابه في العمر، فالرفاق هم مصدر تعلم ونماء وتنشئته كما هي المدرسة. الملاحظ أنه حال وجود طفل متفوق فإنه يعزل عن الرفقة الاجتماعية أو عن رفاقه في العمر والصف الدراسي. ربما عندنا إنسان متفوق علمياً ولكنه مخفق اجتماعياً وعلائقياً . إن المتفوقين والمؤثرين في الحياة والمجتمع ليسوا بالضرورة هم الأذكى أو الأعلى في العلامات المدرسية. صحيح أن التفوق الدراسي هو عامل مهم في التفوق الحياتي، لكنه ليس الوحيد. إن المؤثرين في الغالب هم الذين يمتلكون مهارات اجتماعية في التعامل وبناء العلاقات وحسن استثمار ما لديهم من قدرات، وما يستطيعون بذله من جهد.

أما من ناحية تنمية الذكاء فالحمد لله رب العالمين أن ابنك "الفارابي" يعيش في هذه الأيام التي انتشرت فيها خدمات إلكترونية يمكن استخدامها لتنمية ذكائه . من أمثلة ذلك: الأقراص المدمجة CD، والإنترنت، وقد يحتاج هذا إلى مساعدتك والجلوس بجواره ، لترجمة المواقع الشيقة الخاصة بتنمية الذكاء ، وللأسف هي باللغة الإنجليزية، في الوقت الذي تخلو فيه الساحة العربية من مثل هذه المواقع.

خطوات نحو الاستقلال - ح.ك - مصر

المشكلة تتعلق بتعلق الولد الذي يبلغ ٥ سنوات بالأم؛ حيث إنه لا يريد الاشتراك في تدريبات النادي أو أي نشاط يسبب إليه الابتعاد عنها؛ حيث تكفي بالنسبة له فترة المدرسة، ولا يتقبل أن يشاركه الأب في أي نشاط أو حتى أي "مشوار" الاستشارة بدونها، كما أنه لا يريد النوم بعيداً عنها أو حتى اللعب في حجرته إلا لمدة قليلة ، ثم يأتي إلى المكان الذي هي فيه ويمارس أي لعبة؛ كي يكون بجانبها، وكذلك الأخ الأصغر الذي يبلغ من العمر عاماً وتسعة أشهر بدأ يسلك النهج نفسه، بالرغم من أنه في حضانة، والأم لا تعمل .

الحل :

يقول د/ عمرو أبو خليل مدير مركز الاستشارات النفسية والخبير الاجتماعي :

لم نرَ في رسالتك على قدر ما ذكرته من تفاصيل تخصّ الطفل ذا الخمس سنوات، أي دلالة على تعلق زائد من الطفل ناحية الأم، ولكن لاحظنا تعجلاً من الأم لسلوكيات سوية من قبل الطفل بدون أي رغبة في التمهيد والتدرج لإكساب هذا الطفل السلوكيات الجديدة، خاصة أن هذا الطفل على ما يبدو قد تعرض مثل أخيه الأصغر لانفصال مبكر عن الأم.

ولا ندري ما السبب لهذا الفصل المبكر بين الأم وطفلها، والذي يبدو أنه حدث أيضاً للطفل الأكبر، وهو الذي جعله متعلقاً بالأم؛ حيث إن الأطفال الذين يمرون بتجربة الانفصال عن الأم مبكراً يصابون بالقلق والخوف المستمر؛ حيث يشعرون عندما تغيب أمهاتهم عنهم أنهم ربما لا يرونها مرة أخرى؛ حيث لا يدرك الطفل في السن المبكرة (عاماً أو أقل) معنى غياب الأم وحضورها مرة أخرى.. فعندما يرى الأم ويعود إليها يتعلق بها، ويرفض أن يتركها حتى لا تغيب عنه مرة أخرى، ويتحول ذلك إلى سلوك عنده، حتى مع تقدم سنه .

والحل في هذه الحالة يكون بالتدرج في إكساب الطفل القدرة على الاستقلال لفترات أطول عن أمه، وإذا أخذنا الأمثلة التي ذكرت في الرسالة فسنرى مثلاً أن طفل الخامسة لا يمكن أن يتدرب في النادي لأول مرة في حياته بدون أمه.. وأن الأمر يحتاج في بداية الأمر إلى حضور الأم للتدريب بصورة كاملة، بحيث يشارك زملاءه التدريب وهو يرى أمه ، ولا مانع من أن يترك التدريب في بعض الأحيان لطلب بعض الحاجيات من الأم، ثم بعد عدة مرات تخبره الأم أنها ستضطر لتركه بعض الوقت للقيام بمشوار أو مهمة محددة وستعود ، وتقوم بذلك فعلاً؛ حيث تغيب لفترة قصيرة ثم تعود، ومع تكرار ذلك تطول المدة حتى تصل بعد عدة مرات درجة أنها توصله للتدريب ولا تعود إلا بعد انتهائه لتوصيله للمنزل مثلاً.. وهكذا يتعود الطفل على الابتعاد عن أمه بالتدريج وبدون انفصال مفاجئ يذكّره بالقلق الذي شعر به أول مرة عندما اختفت من أمامه فجأة وهو يذهب للحضانة لأول مرة في سن مبكرة .

وهكذا بالنسبة إلى النزول مع الأب والذي يبدو أنه يحتاج للاقتراب من ابنه أكثر، وقضاء وقت أطول معه ؛ حيث ينزل الطفل مع الأب والأم ثم تعتذر الأم وتترك الطفل مع أبيه وهكذا، خاصة في "المشاوير" الخاصة بالأب مثل الصلاة وغيرها مما تستلزم صحبة الطفل لأبيه ، ولا داعي للضغط على الطفل أو نهره.

وهكذا أيضاً بالنسبة إلى النوم.. ينتقل الطفل أولاً إلى غرفة مستقلة هو وأخوه، وتنام الأم في بداية الأمر معهما، حتى إذا استغرقا في النوم تركت الغرفة ثم بعد مرور شهر أو شهرين، تجلس بجوارهما أثناء ذهابهما في النوم، وتحكي لهما قصة حتى يستغرقا في النوم وهما يعرفان أن وجودها معهما مؤقت؛ ثم بعد شهرين أو ثلاثة تدعوهما للذهاب والنوم في سريرهما؛ بحيث تسمع صوتهما من بعيد، وهكذا يتم التعود .

إن الأمر يحتاج إلى صبر ووقت وتدرج وعدم تعجل.. خاصة أننا مع الطفل الأول نتعجل أن يكبر بسرعة ويصبح رجلاً .. لا توجد مشكلة في الطفل، ولكن المشكلة فينا، فلنهدأ ولنأخذ الأمور ببساطة ، وسيكون الخير بإذن الله .

استراتيجية وطنية شاملة لتنمية الطفولة المبكرة في الأردن

تشكيل الصورة الفسيفسائية

في إحدى التجارب الرائدة في مجال تنمية الطفولة المبكرة في الأردن – وفي مبادرة من قبل صاحبة الجلالة الملكة رانيا العبد الله .. قامت لجنة وطنية من الخبراء في رعاية الطفولة المبكرة بإعداد مسودة استراتيجية وطنية شاملة تم مناقشتها مع المختصين في مؤتمر وطني شاركت به هيئات حكومية وغير حكومية ؛ حيث أظهرت الإحصاءات الوطنية والدولية أن الأردن قد حققت تقدماً مقبولاً في مجال تنمية الطفولة المبكرة ، وخصوصاً في مجال بقاء الطفل .. ولكن الحاجة مازالت قائمة لمعالجة الثغرات ومواطن الضعف في الخدمات والمؤسسات المتوافرة .

قطع مختلفة من الصورة الفسيفسائية :

– **حقوق المرأة والطفل :** عقب التصديق على اتفاقية حقوق الطفل قامت الأردن بتحقيق تقدم كبير لضمان حقوق الأطفال ، كما قامت الحكومة الأردنية بوضع مستوى التعليم وتدريب المعلم على سلم أولوياتها .. إلا أن الحاجة ماتزال قائمة للعمل فيما يتصل بحماية الأطفال وحقوقهم في المشاركة .. كما أن التشريعات الأردنية بحاجة إلى تقوية في مجال حماية الطفل من الإساءة.

وعلى الرغم من تصديق الأردن على اتفاقية القضاء على كافة أنواع التميز ضد المرأة فلم تبذل جهوداً حقيقية لمواجهة النظام القيمي المتحيز ضد المرأة داخل المجتمع الأردني .

– تربية الطفل لدى العائلات التقليدية في الأردن : من المفيد أن نفهم مكونات أنماط تربية الأطفال لدى الأسر التقليدية ومقارنتها مع مثيلاتها لدى الأسر الأكثر تقدماً . ويتوجب دراسة الوسائل والطرق التي تلبى من خلالها واحتياجات الأطفال الصغار لدى الأسرة الصغيرة؛ نظراً للآثار التي تتركها على التطور الصحي للأطفال الأردنيين.

– **تربية الطفل المبكرة الأساسية** : لا تعكس رياض الأطفال في الأردن صورة موحدة فبينما معظمها يلبي حاجات الأسر ذوات الدخل المتوسط والمرتفع فإنها تستجيب لبعض الحاجات الفردية للأطفال بالتركيز على التطوير الأكاديمي مع التطرق الطفيف لنواحٍ أخرى، ومن جهة أخرى جاءت دراسة كيفية تقييمية أجريت هذا العام لتقدير الحاجات، لتؤكد ندرة التدريب أثناء الخدمة في رياض الأطفال بالإضافة إلى النوعية الرديئة لمعظمها، لهذا فإن

الحاجة ماسة للعمل على تحسين ظروف رياض الأطفال وممارسات ومهارات الأفراد ، ورفع مستوى برامجها ، بالإضافة إلى وضع نظام مراقبة للوسائل التعليمية .

تجمع مختلف القطع الفسيفسائية :

– **الرعاية الوالدية** : كان المشروع يهدف إلى تمكين الوالدين من تأمين بيئة صحية ، مثيرة ، ومحببة لأولادهم ، من خلال برامج تصادق الطفل ، مركزها الأسرة ، وأساسها المجتمع .

وكانت المراكز الصحية منافذ أخرى لتقديم الخدمات ، ونشر برامج الرعاية الوالدية؛ ليزداد الدعم المتوفر للآباء والأمهات . وفي بعض المناطق ساعد البرنامج معلمي رياض الأطفال والمسئولين عن الرعاية في مدارس الحضانة لرفع مستوى مهاراتهم، فصاروا قادرين على أخذ أدوار موسعة في مجتمعاتهم، وهذا بدوره حَسن الخدمات المقدمة للأطفال الصغار الذين أصبحت حاجاتهم تُلبى بشكل أفضل .

القطع الفسيفسائية تحتل أماكنها :

الاستراتيجية الأردنية لتنمية الطفولة المبكرة : مر تكوين المفاهيم وكتابة الاستراتيجيات بعمليات وخطوات متعددة ؛ حيث قامت اللجنة أولاً بكتابة المسودات للأوراق الأولية مستعملة الموارد الوطنية والدولية ذات الخبرات الناجحة ، وقد تمت مراجعة ما كتب حول الاختلاط الاجتماعي والتمازج الثقافي .. إلخ . كما تمت مراجعة قضايا تدريب الموارد البشرية ، وتطوير المناهج وتخطيط البرامج وتنمية البيئة، وذلك بتطبيقها في أوضاع حقيقية مختلفة؛ حيث حدد ١٤ مجالاً تأخذها الاستراتيجية بعين الاعتبار للتطور الشامل ورفع سوية الخدمات الحالية وتخطيط المشاريع الجديدة .

وباختصار فإن الاستراتيجية تضم ما يلي:

– **التخطيط والإدارة** : تطوير القدرات المؤسسية المطلوبة والتنسيق ما بين السلطات المعنية بالطفولة المبكرة .

– **التشريع** : زيادة وعي المواطن الأردني حول حقوق الطفل القانونية ، وتوفير الإطار القانوني الذي يحمي حقوقه، بالإضافة إلى تطوير الإجراءات القانونية للسلطات القضائية والأمنية .

– **الرعاية الصحية أثناء الحمل**: تقديم الخدمات عالية الجودة إلى النساء الحوامل مع بعض التركيز على الحاجات العاطفية والنفسية،

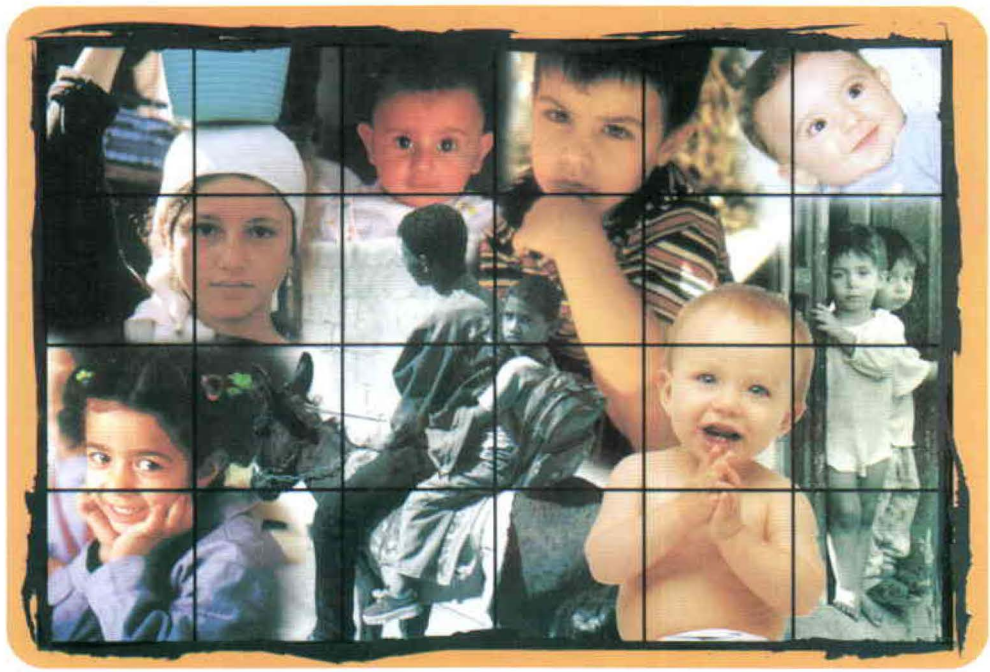

كما تركز الانتباه على الجنين ككائن حي بحاجة إلى ضمانات جسدية وغذائية وعاطفية من أجل نموه الشامل.

- **رعاية الأطفال في دور الحضانة**: تحدد الاستراتيجية الحاجة إلى وضع مقاييس نوعية لكافة الخدمات التي يجري تقديمها وتحسين برامجها وكفاءات الأفراد القائمين عليها ، والمرافق الموجودة لديها .
- **رياض الأطفال** : التركيز على تحسين كافة أنظمة الخدمات مع بعض الانتباه الموجه نحو مجموعة ونوعية مواد التربية والمناهج والأفراد .
- **دور الأسرة** : الوصول إلى الوالدين باعتباره الطريق الأمثل للوصول إلى الأطفال، لذا فمن الضروري تقوية الأسرة لتقوم بتقديم الرعاية الضرورية والتحفيز اللازم لتربية أطفالهم .
- **الأطفال ذوي الحاجات الخاصة**: تأييد اندماج الأطفال ذوي الحاجات الخاصة في مسار الأطفال الرئيسي، بالإضافة إلى تقديم خدمات متخصصة لتقويتهم.
- **الحماية الاجتماعية** : الاهتمام بالأطفال في المواقف الصعبة مثل المشردين والأيتام والباعة المتجولين والمتسولين والعمال والذين يعانون من الإساءة .
- **بيئات الأطفال الترفيهية والثقافية** : التركيز على توسيع آفاق الطفل بما يحيط به عن طريق إتاحة مجموعة متنوعة من النشاطات الثقافية .
- **الاتصالات والدعم**: التأكيد على الحاجة إلى منتجات إعلامية تأخذ بعين الاعتبار بيئات الأطفال الاجتماعية .
- **المناهج** : تطوير المناهج المتخصصة والموجهة نحو الأطفال ذوي الحاجات الخاصة وتدريب المهنيين ، وتطوير المناهج الخاصة بالأطفال في المرحلة الابتدائية باعتباره محور اهتمام التجارب المستقبلية .
- **تطوير الموارد البشرية** : تطوير كافة برامج التدريب فيما يخص ما قبل وما بعد الخدمة للعاملين مع الأطفال في المجالات المختلفة.
- **تطوير المدرسة الابتدائية في المرحلة الدنيا** : إحياء وإعادة تصميم هذه المرحلة التربوية؛ لتصبح أكثر ملاءمة لحاجات الأطفال، ابتداء من سن السادسة وحتى نهاية السنة الثامنة، بهدف جعل عملية تعليم الأطفال فردية وأكثر معنى .
- **الخدمات الصحية** : الوصول إلى الخدمات الصحية الكافية على ثلاثة مستويات من التفاعل : الوقاية والتدخل والمعالجة .

اكتمال الصورة الفسيفسائية :

الرؤية المستقبلية :من الواضح تماماً أن تحديات عديدة لا تزال تكمن في الآتي :

أجزاء الرؤية الفسيفسائية التي يجب أن تجمع وتفسر وتنجز على الصعيد الأول ، يجب التخلص من المخاطر التي تهدد حياة الأطفال ، وأن يكونوا بصحة جيدة ، ويمتلكوا المهارات ليتطوروا ويعيشوا حياة مليئة بالعطاء ، وعلى المراكز الاجتماعية أن تجد الطرق لدعم أسر الأطفال ، فالمجتمع الذي يقدر قيمة حياة النساء والأطفال يجب أن يتطور ليصل إلى أقصى إمكانياته ، وعلى الحكومة الأردنية أن تنظم الأهداف بحسب أولوياتها وبما يتناسب مع الأطفال، ومن جانبها يجب أن تتحمل الأجهزة الحكومية جزءاً من المسئولية بالتعاون مع كافة المنظمات غير الحكومية .

وعلى الصعيد الثاني فإن احترام حقيقة أن الحاجات الإجمالية للطفل ، خاصة العاطفية والثقافية والروحية بالإضافة لحاجاتهم الجسدية ، والذهنية والاجتماعية ، إنما هي مكونات أساسية من شخصية الطفل كلها ولا نستطيع في النتيجة النهائية أن نهملها ، وهذه كلها تشكل حقوق الأطفال الأردنيين، وستضمن تطورهم الإيجابي الشامل.

تحية لهذه التجربة الرائدة على مستوى مواجهة الواقع من خلال التعرف على سلبياته قبل إيجابياته من خلال الدراسات والبحوث .. تضافر الجهود على المستوى الحكومي وغير الحكومي من أجل صالح الطفل الأردني ، وضع رؤى مستقبلية توضح الحاجات والطموحات الآنية والآتية .

المصدر :

تقرير اليونيسيف – الأردن

تحت رعاية جلالة الملك محمد السادس

المنتدى العربي الإقليمي لمنظمات المجتمع المدني حول الطفولة

إيمان بهي الدين

تحت رعاية جلالة الملك محمد السادس عاهل المملكة المغربية، وبتنظيم من المجلس العربي للطفولة والتنمية والمرصد الوطني لحقوق الطفل والمعهد العربي لحقوق الإنسان والمكتب الإقليمي لليونيسيف، شهدت العاصمة المغربية الرباط أعمال المنتدى العربي الإقليمي لمنظمات المجتمع المدني حول الطفولة خلال الفترة من ١٥ - ١٩ فبراير ٢٠٠١ .

شرف حفل الافتتاح عدد من كبار الشخصيات، على رأسهم صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبد العزيز رئيس المجلس العربي للطفولة والتنمية وبرنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية والشبكة العربية للمنظمات الأهلية، وسمو الأمير مولاي رشيد ولي العهد المغربي، وسمو الأميرة الجليلة للا مريم رئيسة المرصد الوطني لحقوق الطفل والجمعية المغربية لمساندة اليونيسيف، ومعالي الدكتور عصمت عبد المجيد أمين عام جامعة الدول العربية، والسيدة بهية الحريري نائبة رئيس مؤسسات الحريري ، وابراهيما د.فال مدير المكتب الإقليمي لليونيسيف، ومعالي السيد عبد الرحمن اليوسفي الوزير الأول المغربي، وبحضور عدد من الوزراء والسفراء العرب، والمشاركين في المنتدى من مختلف قطاعات المجتمع المدني .

يأتي هذا المنتدى كخطوة جديدة في تحرك منظمات المجتمع المدني كي تعبر عن دورها، وتعلن عن استعدادها للشراكة والتنسيق فيما بينها ومع الحكومات، كما وأنه يعد مبادرة

- الطفولة المبكرة على أجندة الأمم المتحدة.

فعالة لمشاركة المجتمع المدني في الدورة الخاصة للأمم المتحدة حول الطفولة، والتي ستعقد في سبتمبر ٢٠٠١ بنيويورك، وسيتبعها سلسلة من الاجتماعات التحضيرية على المستوى الحكومي بجامعة الدول العربية، وعلى مستوى الخبراء تفعيلاً للمشاركة العربية في هذا المحفل الدولي .

كان الهدف من هذا المنتدى الذي شارك فيه ما يقرب من ٢٣٠ مشاركاً من ٢١ دولة وأكثر من ١٠ منظمات إقليمية ودولية الوقوف على الإنجازات والتطورات التي تمت على مستوى الطفولة العربية في العقد الأخير من القرن العشرين، وقراءة الواقع العربي للنهوض بالطفولة وقضاياها الحاكمة، وتطوير أطر العمل وإقرار الأولويات وسط التحديات التي تواجهها المنطقة .

وقد شهد المنتدى زخماً كبيراً في المناقشات والحوارات، حيث تمت مناقشة ٢٧

- حركة عالمية جديدة من أجل الأطفال .
- الدعوة لعقد عربي للطفولة .

ورقة عمل من خلال ٧ جلسات عامة و١٠ حلقات حوار، وكان المحور الرئيسي لها القضايا ذات الأولوية على أجندة اجتماع الأمم المتحدة القادم، وهي الطفولة المبكرة وجودة التعليم واليافعين والبيئة المهيأة، إلى جانب مناقشة موضوعات أخرى، مثل الأطفال في ظروف الحرب والنزاعات والحصار والاحتلال، وسوء المعاملة والتهميش، وأوضاع الطفلة والتمييز، وتكنولوجيا المعلومات، والفقر والسياسات الاقتصادية وتأثيرها على الطفل .

تمخض عن المنتدى مجموعة من التوصيات الهامة، وإعلان الرباط الذي جاء تعبيرا عن التزام منظمات المجتمع المدني المجتمعة للعمل من أجل مصلحة الأطفال الفضلى، وكذا الدعوة إلى عقد عربي للطفولة، وتشكيل لجنة عربية فاعلة في المجال تضم سمو الأمير طلال بن عبد العزيز وسمو الأميرة الجليلة للا مريم والسيدة بهية الحريري وشخصيات عربية فاعلة في مجال الطفولة .

الطفولة المبكرة على مائدة الحوار

كانت قضية الاهتمام بمرحلة الطفولة المبكرة واحدة من أبرز الموضوعات المطروحة ضمن حلقات الحوار، حيث عرضت ورقة عمل لكل من جاكلين صفير وغانم بيبي من ورشة الموارد العربية بلبنان، تضمن الجزء الأول منها الطفولة المبكرة في عقدين (المفاهيم - التحديات - الأهداف). أما الجزء الثاني فكان قراءة عربية في مراجعة العقد الماضي وتحديات العقد الراهن. وجاءت مناقشات الحضور مركزة على ضرورة توسيع الاهتمام

يونيسف
منظمة الأمم المتحدة للطفولة

المرصد الوطني لحقوق الطفل (المغرب)

Arab Institute for Human Rights

المجلس العربي للطفولة والتنمية

بالطفولة المبكرة في الريف والمناطق النائية، وتوجيه الاهتمام إلى التربية الوالدية، والعمل على الاكتشاف المبكر للإعاقات وتوفير الإمكانيات المساعدة لإتاحة الفرص لهؤلاء الأطفال .

وفيما يلي التوصيات التي خرج بها المنتدى في مجال الطفولة المبكرة:

١- مراجعة الخطط والأهداف المتصلة بصغار الأطفال الصادرة عن اجتماعات القمة والمؤتمرات الرئيسية التي عقدتها الأمم المتحدة والأطر العربية على مدى العقد الماضي .

٢- توسيع وتحسين الخدمات للأطفال ما بين الولادة و٨ سنوات ولأسرهم، بهدف نشر وتعزيز النماء التكاملي عند الطفل .

٣- العمل على تحقيق أهداف "المنتدى الإقليمي العربي حول التعليم للجميع - القاهرة ٢٠٠٠" في مجال الطفولة المبكرة والتعليم الأساسي .

٤- تسجيل جميع الولادات ووجوب إصدار شهادات ميلاد لجميع الأطفال، وتسجيل كافة الأطفال عند مولدهم، وضمان حق كل طفل في الحصول على جميع خدمات الرعاية والتربية وحقه في اكتساب جنسية واسم .

٥- العمل على تحقيق زيادة ملموسة في برامج المنهج الشمولي الهادفة إلى تعزيز النماء البدني والعاطفي والاجتماعي والمعرفي للأطفال من الميلاد وحتي سن الثامنة .

٦- وضع سياسات وبرامج لحماية الأطفال من العنف، وتقليل نسبة الأطفال ضحايا العنف العائلي والمجتمعي .

٧- تقليل معدلات وفيات الرضع ومن تقل أعمارهم عن الخامسة، وتقليل معدل وفيات الأمهات .

٨- تحصين جميع الأطفال الذين تقل أعمارهم عن سنة واحدة ضد الأمراض القاتلة، وتحصين النساء في سن الحمل ضد التيتانوس، والعمل على القضاء على شلل الأطفال تماماً بحلول عام ٢٠٠٥ .

٩- القضاء على نقص اليود، ونقص فيتامين أ.

١٠- رفع معدل استعمال المرافق الصحية الآمنة .

١١- توفير الرعاية الصحية النوعية، بما في ذلك الرعاية قبل الولادة ، والتحصين، والتغذية، والبيئة الصحية الآمنة الخالية من التلوث .

١٢- الإتاحة لكافة الشباب، والرجال والنساء إمكانية الحصول على المعرفة والمعلومات عن الصحة الإنجابية ، وكذلك عن مسئوليتهم المشتركة كوالدين .

١٣- دعم حق الأسرة ومقدمي الرعاية والأطفال في الحصول على جميع المعلومات والخدمات الرامية إلى تعزيز بقاء الطفل ونمائه وحمايته، والاكتشاف والتدخل المبكر ورعاية الأطفال ذوي الإعاقات وتعزيز النماء الاجتماعي والعاطفي والمعرفي والروحي للطفل.

- ٢٣٠ مشاركاً من ٢١ دولة و١٠ منظمات إقليمية ودولية يحضرون المنتدى.

وإذا كان هذا المنتدى هو خطوة على طريق المشاركة العربية الفعالة للمجتمع المدني حول الطفولة، فإن الطريق لم ينته بعد، فهناك دعوة للجميع للمشاركة في اجتماع الأمم المتحدة في سبتمبر ٢٠٠١ في نيويورك؛ لتجديد الالتزام بالعمل؛ لتحقيق مصلحة الطفل الفضلى، وتبني وثيقة (عالم جدير بالأطفال)، وكذلك مساندة الحركة العالمية من أجل الأطفال، التي تستند على مفهوم جديد، هو العمل مع الأطفال، بدلاً من المفهوم السائد العمل من أجل الأطفال .

الجامعة العربية المفتوحة... طموح أمة وإنجاز مواطن!

عبداللطيف الضويحي
مدير الإعلام / برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية

عندما بكت أمي ذات يوم، لم يكن ذلك جوعاً أو تعباً رغم جوعها وتعبها، لكنها حالة الضياع التي يعيشها المحارب عندما يكتشف فجأة وفي ساحة القتال أن جميع الأسلحة التي يملكها ويجيد استخدامها لم تعد صالحة للقتال. لقد مارست أمي الإشراف، التخطيط، التنظيم، التنفيذ، والمتابعة لشئون الحي والجيرة والأقارب تطوعياً بمفردها أو بمعاونة من يساعدها، فضلاً عن إداراتها لبيتنا ذي الثلاث بنات والسبعة أولاد والأب المسافر ثمانية أشهر في السنة على بعيره يجوب أرض فلسطين والعراق والشام؛ ليأتي لنا بما نأكله صيفاً أو نلبسه شتاءً. لقد حفرت أمي الأرض بأظافرها واحتطبت بالفأس، وجلبت الماء من البئر، وحملت البندقية لتحمي أطفالها وأغنامهم من الذئاب والضباع، وبنت بالطين بيتنا، وحاكت بالإبرة والمخيط ملابسنا وفرشنا. هذه المرأة التي تملك رؤية الأيديولوجيين وإرادة المناضلين وعزيمة الفلاحين وروح المصلحين، وجدت نفسها فجأة في مجتمع لا تنتمي له ولا يريد أو لا يعرف أن يستفيد من تجاربها، فقط لأنها امرأة أمية... امرأة لا تقرأ ولا تكتب... ولا تحمل شهادة. حاولت أمي المرة تلو الأخرى أن تكسر طوق أميتها، لكن تعليمها كان قليلاً ومتأخراً. عندها فقط بكت أمي طويلاً.

إن المفتاح الحقيقي للتنمية المجتمعية الحقيقية هو المرأة. فمن أراد منكم أن يغير مجتمعاً، فليبدأ بالمرأة. ومن أراد أن يطور مجتمعاً، فليعلم المرأة. ومن أراد أن يؤخر مجتمعاً، فليتجاهل المرأة. إن تعليم المرأة وليس تعليم الرجل، هو ما يجب أن يكون

أولوية المجتمعات الفقيرة والمجتمعات الأمية؛ لأن المرأة هي عنصر التغيير الحقيقي في المجتمع. انظروا... فعلى العكس من أبناء أم غير متعلمة وأب متعلم، نجد أن أبناء أم متعلمة وأب غير متعلم يتمتعون بمستوى تعليم وتربية وتحضر وإنتاجية أعلى وأعمق وأشمل من نظرائهم. وليس أدل على هذا الاستنتاج من تفوق المرأة بمستواها التعليمي أثناء دراستها على زميلها الرجل الذي يماثلها عمراً وتخصصاً، والسبب قد يكون ناتجاً من حقيقة أن المرأة تتعلم لتحيا ويتعلم الرجل لينجح. والفرق بين من ينشد الحياة وبين من ينشد النجاح هو الفرق بين من يصارع الموت وبين من يصارع الفشل. أي أن التحدي للمرأة حين تتعلم هو تحدي أن تكون أو لا تكون، أما بالنسبة إلى الرجل حين يتعلم فهو تحدي أن ينجح أو لا ينجح. ومع أننا من المؤمنين بأن التركيز على تنمية الرجل أو تنمية المرأة بمعزل عن الطرف الآخر يعد تنمية عرجاء، إلا أن التخطيط التنموي في ظل قصور الموارد والحاجة إلى إحداث تغيير جذري وعاجل وواسع في المجتمع، لا يعطي الأحقية بتجاهل تعليم المرأة.

فالصعوبات التي تواجه تعليم المرأة لا تحصى. فإن كانت محظوظة وولدت بمجتمع لا يحرم تعليمها، قد لا توفق بأب أو أخ أو زوج يفهم ذلك. وإذا وفقت بأحد هؤلاء، قد لا تجد من يشجعها مادياً وأسرياً ونفسياً في تحقيق ذلك. وإذا وفقت بمن يشجعها، قد لا تجد في نهاية المطاف المدرسة أو الجامعة لتدرس بها، خاصة في مناطق الريف.

المرأة هي نقطة ضعف المجتمع العربي. وجوهر هذا الضعف هو أميتها أو شبه أميتها، سواء كانت الأمية أبجدية أو أمية ما بعد الأبجدية. من هنا، ترتبط أغلب مشكلات المجتمعات العربية الاقتصادية منها والسياسية والتنموية والاجتماعية بالمرأة سبباً كانت أو نتيجة. هذا الضعف ناتج عن عدم إعطاء المرأة دورها الطبيعي. وعدم إعطائها دورها الطبيعي ناتج عن تبعيتها المطلقة للرجل وتبعيتها المطلقة للرجل ناتج عن عدم استقلاليتها المالية وعدم استقلاليتها المالية ناتج عن عدم تعليمها، وهذه بكتيريا المشكلة.

لكن الليل العربي ليس أبدياً. ففي شهر

أكتوبر لعام ٢٠٠١، ستشرق شمس التعليم العربي بميلاد الجامعة العربية المفتوحة، كمشروع تنموي يهدف إلى سد ثغرات التنمية في المجتمعات العربية. هذا الميلاد بالغ الأهمية وستسجله الذاكرة العربية وتحفظه إلى الأبد؛ لأن ميلاد الجامعة العربية المفتوحة، هو تاريخ ميلاد المشروع القومي الأول الذي يتجاوز الحبر والورق والديموغوجية السياسية؛ ليكون على الأرض وليخدم المواطن العربي مباشرة. ولأنه تاريخ ميلاد أول مشروع قومي يتاح في المغرب العربي مثلما يتاح في وادي النيل والهلال الخصيب والخليج العربي والقرن الإفريقي. ولأنه تاريخ ميلاد المشروع القومي الأول الذي يصل إلى الريف العربي مثلما يصل إلى الحاضرة العربية. ولأنه تاريخ ميلاد المشروع القومي الأول الذي يتيح الفرصة للمرأة العربية، مثلما يتيحها للرجل العربي بالتأهيل والتدريب. نعم. في أكتوبر ٢٠٠١ ستولد الجامعة العربية المفتوحة، وتولد معها جديدة، ويولد معها مرأة عربية قادرة على التغيير والإنتاج.

هذا المشروع رغم أهميته الاقتصادية للخريجين ومجتمعاتهم خلال دراستهم وبعد تخرجهم، فإن قيمته الحقيقية هي القيمة التنموية بشكل عام. سواء كانت التنمية لسد الثغرات الناتجة عن غياب فرص التعليم أو تلك الناتجة عن نتاج التعليم الحالي والذي يتصف بتواضع مستواه وعدم تلبيته نوعياً لاحتياجات السوق. وهذا استناداً إلى دراسة الجدوى التي أجريت قبل الشروع في الجامعة العربية المفتوحة. ففي الحالة الأولى نحن نرى أن فئات من المجتمعات العربية حرمت من التعليم الجامعي بشكل عام مثل أبناء الريف والمرأة. فأبناء الريف ضحية التخطيط المركزي الذي لا يرى إلا المدن الكبيرة، والمرأة ضحية القيم المجتمعية ومحدودية الإمكانات المادية. مما يجعل الجامعة العربية المفتوحة تأتي إلى الطالبات والطلاب أينما يكونوا وليس العكس، وذلك بفضل أسلوب التعليم المفتوح. أما الثغرات الناتجة عن تواضع نوعية التخصصات في الجامعات الموجودة فقد جعلت الجامعة العربية المفتوحة تتجه لتخصصات مثل إعداد المعلمين والحاسوب واللغات وإدارة الأعمال. نعم في أكتوبر ٢٠٠١ ستكون المرأة العربية بالذات على موعد مع تعليم لم تألفه في الجامعات العربية ولا المجتمع العربي، أقل بكثير من الرسوم التي تفرضها الحكومات والجامعات الأهلية، إضافة إلى أن الطالبات والطلاب المحتاجين سيحق لهم منح دراسية في هذه الجامعة .

حقاً سيكون التعليم مفتوحاً بمعنى الكلمة. فهو مفتوح من حيث المكان والزمان والمواد والوسائل التعليمية وتقييم الطلاب. فسيستخدم البث المسموع والمرئي في اتجاه واحد والبث المسموع والمرئي في اتجاهين وشبكة الاتصالات الدولية (الإنترنت) والبريد الإلكتروني. إضافة إلى المراكز التي ستؤمنها الجامعة العربية المفتوحة مع طلابها، حيث يتم تزويد الطلاب من خلال هذه المراكز بالمواد التعليمية بأوعيتها المختلفة، إضافة إلى المختبرات المزودة بالأجهزة السمعية والبصرية والحواسيب الشخصية، واللقاءات الصفية تحت إشراف معيدين تم تدريبهم على أساليب التعليم المفتوح بواقع معيد لكل عشرين متعلماً. وستستفيد الجامعة العربية المفتوحة في كل موقع تتواجد فيه من البنية التحتية في الجامعات القائمة من مبانٍ وتجهيزات لإقامة الندوات والمحاضرات النظرية والتطبيقية العملية من خلال المختبرات والورش. وستعمل الجامعة العربية المفتوحة على إيجاد مجموعات التعليم الذاتي حيث يعمل الطلبة على تبادل الدعم والمشورة فيما بينهم من خلال الاجتماعات النظامية والهاتفية والإليكترونية وغيرها. أما الاعتماد والاعتراف بشهادات الجامعة العربية المفتوحة فقد تم من خلال موافقة وزارات التعليم العالي العربية بالترخيص لهذه الجامعة في كل بلد عربي.

أريد أن أعيد الفضل لأهله، فهذا المشروع لم تبادر إليه وزارات التعليم العالي العربية المناط بها تأسيس المشروعات الأكاديمية والتربوية في أقطارها، ولم يولد في حضن جامعة الدول العربية المناط بها تحقيق

المشروعات القومية العربية، ولم يولد في اليونسكو المناط بها دعم وتأسيس المشروعات التربوية والعلمية والثقافية في العالم. لقد ولد هذا المشروع وترعرع ونضج وأنجز في وعي وضمير وطموح ورعاية المواطن العربي - بكل استحقاق - طلال بن عبد العزيز بصفتيه الشخصية والوظيفية .

إن مشروع الجامعة العربية يعلمنا بأن المشروعات القومية العربية لا يمكن تحقيقها من خلال المؤسسات البيروقراطية والمجالس والهيئات واللجان الإدارية المبقرطة القائمة منها أو المستحدثة. إنما تحتاج المشروعات القومية العربية -لكي ترى النور -إلى من يعايش الإنسان العربي البسيط من المحيط إلى الخليج هماً وطموحاً. وتحتاج إلى من يملك الإيمان الراسخ بوحدة عربية ناضجة. ويحتاج إلى من يملك الرؤية المستنيرة والتمرس في العمل التنموي الكلي والجزئي. ويحتاج كذلك إلى من يملك العلاقات الشخصية المؤثرة في القيادات العربية المهمة. ويحتاج أيضاً إلى من يملك التمويل أو استقطاب التمويل لتلك المشروعات. ويحتاج - فوق هذا وذاك -إلى من يملك الصبر والنفس الطويل يتحمل الإجراءات الطويلة أو المطولة في الأجهزة والعقليات البيروقراطية. هذه المفاتيح قد يملكها البعض» لكني لا أعرف من يجيد استخدامها إلا طلال بن عبد العزيز .

غداً حين تفتح الجامعة العربية المفتوحة أبوابها. وحين تنتشر مراكزها في كل قرية وضاحية عربية. وحين ينتظم الطلاب العرب من المحيط إلى الخليج. ستسعد أمي كثيراً وتسعد معها أمهات عربيات، فقد تحقق البنات ما لم تحققه الأمهات. أما تعليم أمي فحلم فات أوانه، من يدري أيها الأعزاء؟ ربما كانت أمي أو واحدة من جيلها - لو تعلمت - لشغلت الآن منصب وزيرة الزراعة أو ربما كانت قاضية في إحدى المحاكم أو على أقل تقدير ربما كانت رئيسة لبلدية منطقة الجوف، حيث تقيم أمي وحيث دُفِنَ أبي .

بريد إليكتروني:
dwaihi@uas.net

نعم الباز

من أجل غدٍ أفضل

ماما نعم

أنا وأنتم على حبل مشدود اسمه الأمومة... نمسك بأيدينا؛ حتى لا نقع ونصل إلى مكان بلا أخطار.. من أجل غد أفضل .

ماما نعم الباز

عزيزتي ماما نعم

أكتب إليك لمجرد ملء الورق.. أعلم جيداً أن هذا العصر ليس عصر استقرار الأطفال. إنه عصر مليء بالقلق والإيقاع السريع والخلافات الصغيرة التي تصبح مثل الإبر التي «تشك» الجلد مرة تلو الأخرى، حتى تصل إلى اللحم ويصبح جرحاً غائراً...

أكتب إليك عن طفلي.. طفلي الذي وصل إلى الخامسة عشرة من عمره ولا يزال طفلاً يشعر بالقلق، ولا ينام إلا وضوء المصباح يملأ الغرفة .

طفلي الذي لو داعب الهواء النافذة فزع كأنه عاصفة تقتلع البيت.. ويظل مستيقظاً حتى الصباح، هذا بالرغم من نجاحه الدراسي بل وتفوقه، ولكنه رغم ذلك التفوق قد لا يستطيع أن يحضر لنفسه كوب ماء. ولو مرضت يظل بدون طعام، ويبكي بجانبي مثل طفل في الثالثة أو الرابعة من العمر.. عرضته على طبيب نفسي وأمضى معه عاماً كاملاً ولكن لا فائدة.. بل وأمضينا أنا ووالده نفس العام يجلس معنا الطبيب معاً ومنفردين.. في البداية ظهر بعض التحسن، وبدأ يفتح «الثلاجة»، ويخرج بعض الطعام ويأكل، ولكنه انتكس ثانياً بعد أن أجريت لشقيقه الصغير عملية اللوز، ومكثت معه بالمستشفى يومين. أنا أعلم ألا فائدة، ولكن المشكلة الكبرى أنه كان يحب ابنة عمه وهي تحبه، ولكن الفتاة كبرت وبدأت تبتعد عنه، وقالت لابنتي التي تماثلها السن ١٤ عاماً إنه ضعيف الشخصية، ويخاف الظلام..

أعلم ألا فائدة، ولكن الفائدة الوحيدة أنني أفرغت ما بقلبي على الورق، وأرجو ألا أكون قد أزعجتك بمشكلة ليس لها حل .

ج-س-ل

سيدتي الفاضلة :

أستطيع أن أؤكد لك أنني لا أكتب من فوق كرسي الواعظ أو من صومعه الفيلسوف الناجح، ولكني أكتب لك من موقعي الذي يماثل موقعك تماماً، ولكن الفارق الوحيد بيننا أنني أعيش آلاف المشاكل وأنت تعيشين مشكلة واحدة... وربما كان في بيتك مشكلة أخرى، ولكنك تركزين على مشكلة ولدك التي تستحق التركيز فعلاً... ولعلك لا تعلمين أن نصف حلول المشاكل التي يشعر بها الأم والأب يحل حينما يشعرون بأن هناك مشكلة ؛ لأن كثيراً جداً من الآباء والأمهات، بل معظمهم يكون مثل النعام ولا يعترف بأي مشكلة أو عرض نفسي ينتاب أولادهم. ومشكلة الأمومة والأبوة على المستوى الإنساني كله - سواء دول متقدمة أو متأخرة شرقية أو غربية - أن الابن بالنسبة إليهم هو عبقري وليس ذكياً فقط، جميل الطلعة خفيف الظل لا تشوبه شائبة، لهذا فإن كل مشكلة تبرز في حياة الطفل تعتبر كارثة في حياة الأبوين .

سيدتي ..

حاولي أن تستعيدي مسيرة ابنك، وبداية هذا الإحساس عنده، فقد جاءتني سيدة ..... بمشكلة لابنها منذ سنوات تتشابه مع مشكلة ابنك تماماً وعندما عادت إلى الوراء لبداية المشكلة وجدنا أنها بدأت عنده منذ ولادة شقيقته والتي قابلتها الأسرة بسعادة؛ لأنها رقم ٤ بعد ثلاثة من الصبيان؛ وكان هو الأخير؛ وحينما ولدت كان عمره ٤ أعوام فعاد للتبول الليلي بعد أن كان قد انقطع عنه منذ أن كان عمره عامين. وحينما توصلوا لعلاج التبول الليلي بعدم إعطائه سوائل قبل النوم بساعتين وإيقاظه في الصباح الباكر للتبول.. بكى خوفاً عند إطفاء نور الحجرة ، ورفض النوم مع شقيقته وطلب النوم مع أمه ثم امتطى جواد البكاء وظل يبكي كل ليلة حتى يضحر منه الجميع ويضطروا لوضعه مع أمه عند النوم. لقد فهمت من خطابك أن العلاج النفسي وصل إلى شفائه ولكنه انتكس حينما تفرغت لشقيقه الذي أجريت له عملية اللوز لمدة يومين.. إن خوف ابنك من الظلام وإحساسه بالفزع لأشياء بسيطة هو في أساسه عدم الإحساس بالأمان وربما عدت إلى طفولته وخصوصاً بعد ولادة شقيقه الأصغر وتوصلت لبداية هذا الإحساس .

إن الحساسية الشديدة التي يعاني منها الأولاد عندما يقارنون بين بعضهم البعض في معاملة الأم والأب يتولد منها عقد نفسية كثيرة تبدأ صغيرة وخافية تماماً، ثم تظهر في سلوكيات بعيدة لا تكشفها الأسرة إلا بعد مدة طويلة تماما مثل البراكين الخامدة التي تتكاثر نارها وحممها، وتبتعد عن فوهة البركان ثم تظهر وتنفجر في مكان آخر بعيد كل البعد عن المكان الأصلي. والأمراض النفسية مثل الجسمانية تماماً لها آثارها الخامدة التي تظهر فيما بعد مثل الأورام وغيرها من سموم الجسم التي تتجمع ثم تخرج بشكل آخر.

حاولي مبدئياً أن تراقبي نفسك وسلوكياتك اليومية مع أشقائه ، لعلك مثلاً تتعمدين الاهتمام بطعام أحدهم أكثر منه أو لعل شقيقه الأصغر يأخذ عناية دون أن تشعري أو تتعمدي .

لعلي تركت القلم أيضاً يكتب لك سطوراً وسطورا وكأنني أفرغ أيضاً ما لديَّ ، فالعلاقة جدية بين الكاتب والقارئ ، وكلاهمامشدود دائماً للآخر ، فلولا القارئ ما كان الكاتب ولولا الكاتب ما استطاع القارئ أن يجد من يحدثه بسن القلم حديثاً خاصاً جداً برغم مشاركة الجميع .

أجفند

جائزة برنامج الخليج العربي العالمية للمشروعات التنموية الرائدة لعام ٢٠٠١م

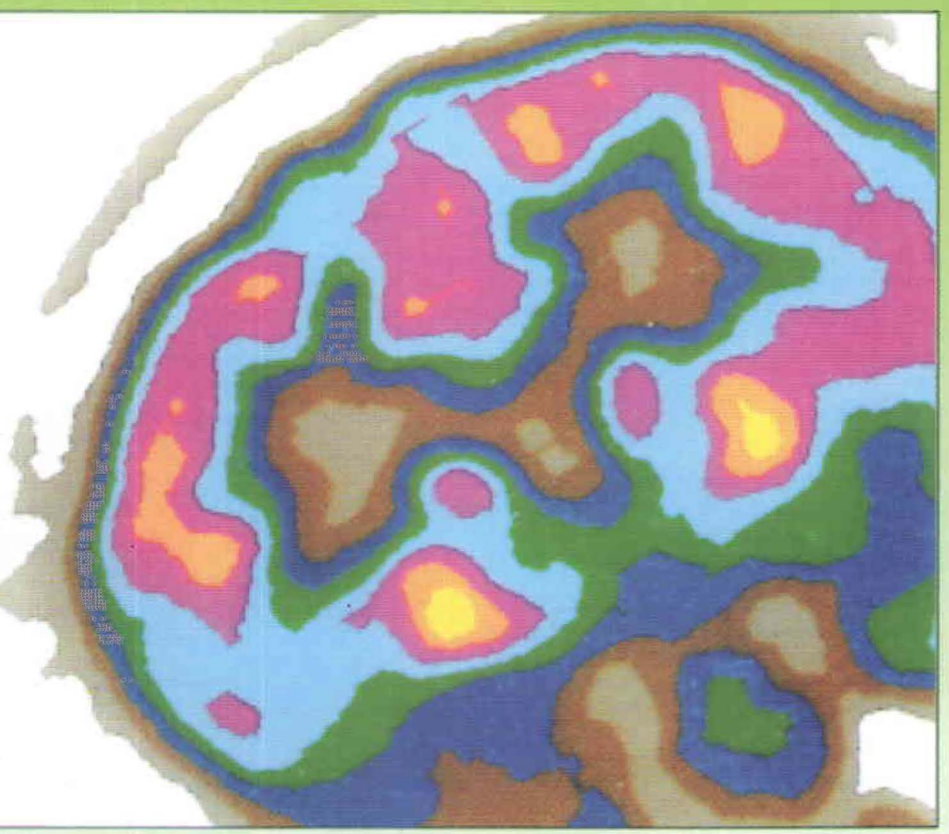

الفرع الأول :

(استخدام تقنية المعلومات في مجالات التعليم والصحة)

المشروعات التي ترشح لجائزة هذا الفرع هي فقط المشروعات المنفذة من قبل المنظمات الأممية، والدولية، والإقليمية.

الفرع الثاني:

(تقديم القروض متناهية الصغر من خلال الجمعيات الأهلية)

المشروعات التي ترشح لجائزة هذا الفرع هي فقط المشروعات المنفذة من قبل الجمعيات الأهلية.

الفرع الثالث :

(تعزيز العمل التطوعي في المجتمع)

المشروعات التي ترشح لجائزة هذا الفرع هي فقط المشروعات المنفذة من قبل الأفراد.

يتم الترشيح للجائزة عن طريق تعبئة استمارة الترشيح وإرسالها مع الوثائق المطلوبة إلى البرنامج على العنوان الموضح أدناه، كما يمكن تعبئة الاستمارة الإلكترونية في موقع البرنامج على الإنترنت، في موعد أقصاه يوم ٣٠ يونيو ٢٠٠١م.

لمزيد من المعلومات يمكن الاتصال بـ:

إدارة الإعلام - برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية

رقم الهاتف: ٤٤١٨٨٨٨ ٩٦٦١

الفاكس: ٤٤١٣٩٦٢ ٩٦٦١

ص.ب ١٨٣٧١ الرياض ١١٤١٥

بريد إلكتروني: prmedia@agfund.org

إنترنت: www.agfund.org

برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية (أجفند)

مهما كان سنك

art Teenz

قريبة جدا منك

اشترك الآن أو
سدد إشتراكك

القاهرة: edd ٣٣٨٨٧٥٩-٠٢٣٢٠٧٦٠/ دبي: ٤٨٨٧١١٣٣ (٠٠٩٧١) /جدة: ٦٧١٩٩٩٩ (٠٢)